

# أبو حاري في المهجر

بقلم  
المرحوم الدكتور  
أحمد زكي أبو حاري



من مقالاته وأحاديثه



# أَبُو شَادِي فِي الْمَهْجَرِ

بَعْدَ  
الْمَرْحُومِ الدُّكْتُورِ أَحْمَدَ زَكِيَّ أَبُوشَادِي

مَجْمُوعَةٌ مِنْ مَقَالَاتِهِ وَأَحَادِيثِهِ

يَطْلُبُ مِنْ  
مَكْتَبَةِ مِصْرَ  
٣ شارع كامل صدقي - النجما



# تقديم

بقلم : الأستاذ محمد عبد المنعم هفاجي  
الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

## ١

كان شاعر مصر الكبير ، الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، يعيش في المهجر الأمريكي ، في نيويورك ، ثم في واشنطن ، من عمله في إذاعة « صوت أمريكا » . كان يعمل ويكافح ليعيش ، وليؤدى رسالته التي ضحى بنفسه وصحته وماله في سبيلها ، دون أن ينسى وطنه مصر ، التي عاش وقتاً لها ، باراً بها ، يؤيد قضاياها ، ويدافع عن حقها في الحياة والرفاهية والكرامة الإنسانية ، متمنياً أن تسهم من جديد في بناء عالم حر سعيد ، ترفرف عليه ألوية الحضارة والطمأنينة والسلام .

ولما توفي شاعرنا الخالد في ١٢ إبريل سنة ١٩٥٥ في واشنطن ، حزن عليه العرب في كل مكان ، وخسرت الإنسانية بوفاته رائداً مستنيراً ، وداعياً جريئاً ، ومفكراً موجهاً ، عمل بإخلاص وإيمان من أجل تقدمها وازدهارها ، ومن أجل الخير للناس جميعاً .

خلف أبو شادي لأسرته الصغيرة — التي كانت تقيم معه في أمريكا — الأسمى والحزن ؛ ولأسرته الكبيرة في العالم كله —

من تلامذة ومريدين وأصدقاء ، استفادوا من خبرته وتجاربه وقِيَمِهِ ومثالياته — ترك لها كذلك أمثلة تحتذى ، ومبادئ ومناهج فكرية أصيلة موجهة .

وأبَنَّهُ الأدباء والكتاب والمفكرون العرب في كل مكان ، يُنَمُّهُمْ معهم في ذلك أعلام الفكر العالمى ورواده في الشرق والغرب .

وقد ظهر لأبى شادى كتابان قيان : « دراسات إسلامية » و « دراسات أدبية » .

ثم رأت ابنة الشاعر ، الأدبية الكاتبة الشاعرة الآنسة صفية أحمد زكى أبو شادى أن يطبع هذا الكتاب ، وطلبت منى أن أقدم له ، فقبلت مبتسماً جذلان لأنى سأشهد ميلاد كتاب جديد لأبى شادى ، كان مقدراً له أن يضيع ، وألا ينشر على الناس .

وقد وضع أبو شادى الكتاب ، متناولاً لبحوث ودراسات عديدة ، وكان قد أذاع هذه البحوث والدراسات من « صوت أمريكا » وإن كان هذا السفر لم يشمل جميع الفصول التى دمجها يراع أبى شادى فى الموضوع .

إن هذه الثروة الفكرية المخطوطة ، التى تركها الشاعر لجديرة باهتمامنا وعنايتنا ، وإن نشرها ليعدُّ معاونة عملية فى نشر المبادئ والقيم

الإنسانية التي عاش أبو شادى مؤمناً بها ، داعياً إليها ، منادياً  
فى الناس ليجتمعوا على المحبة والإخاء ، وعلى دعم مستقبل الإنسانية ؛  
وليعملوا جادين فى سبيل بناء عالم أفضل ، وحياة مثلى يسعد بها  
البشر جميعاً .

ودواوين أبى شادى المخطوطة : « إيزيس — الإنسان الجديد —  
أناشيد الحياة — النيروز الحر » ؛ وكتبه الأخرى التي لم تنظر باهتمام  
الناشرين بعد ؛ كلها دعوة إلى فلسفة جديدة مثالية ، تؤمن بالعقل ،  
وتدافع عن كرامة الإنسان ، وتعزّز بالقيم ، وتحارب الجود ، وتهتف  
فى الناس أن : سيروا إلى عصر جديد تشرق فى الآفاق أضواؤه الساطعة ،  
تبدد الظلام والخيرة والسكرابة ، وتهدى البشر إلى كل ما هو حق وخير  
وجميل فى الحياة .

والحق أن أباً شادى كان أكثر من شاعر وكاتب وأديب وفنان  
وناقذ وصحفى وعالم ومؤلف وطبيب . . كان إنساناً ، تملأ جوانحه نزعة  
الإيمان بالإنسانية ، وحب الخير لها ، والكفاح من أجلها ؛ ويعطف على  
الناس كافة ، ويأسى لآلام البشر جميعاً ، ويرحم الأشقياء منهم ، حتى  
ولو كانوا أعداءه وخصومه .

كان ذا قلب كبير ، ومشاعر مرهفة ، وذهن حاد ، وفكر  
متوثب .

كان مفكراً عبقرياً ، أسهم في بناء النهضة الأدبية المعاصرة في مصر والشرق العربي ، بكل جهوده ، منذ أن أنشأ مجلة أبولو وجماعة أبولو عام ١٩٣٢ ، وعُدَّ أحد رواد هذه الحركة ودعاتها .

## ٢

وحياة أبي شادى تنقسم بالكفاح الطويل الشاق ، من أجل التحرر الثقافى والعقلى ، ومن أجل حرية الفكر والنقد والأدب والفن ؛ وقد عاش يدعو إلى إحياء الأدب وديمقراطيته ومثاليته ، يدعو فى الأدب إلى الإخلاص والوحدة وإلى التجديد فى كل ألوان الأدب وفنونه . ويدعو فى الشعر إلى الأصالة والفطرة والموهبة ، وإلى الوحدة التعبيرية ، والتناول الفنى السليم للفكرة والمعانى والموضوع والتجربة ، وإلى الطلاقة الفنية ونزعة التحرر ، هذه النزعة التى قوامها الصدق والبساطة والسماحة وجرأة التعبير ؛ وإلى السمو المستمد من فكرة التقدم والإنسانية ، محارباً القيود والصنعة والتكلف ؛ وقد عمل طول حياته على إنصاف الشعراء ، وخاصة المغمورين منهم . وكثيراً ما نوه بالأدب المصرى الحديث فى شتى البيئات الأدبية العالمية عامة ، وبيئات الاستشراق على وجه الخصوص .

ويتنوع شعر أبي شادى إلى ألوان عديدة ، من الغزلى والوجدانى



ووصف الطبيعة والشعر الصوفي أو الفلسفي ، والشعر الوطني والتقدمي ؛ وكل هذه الألوان طاقة شعرية خصبة ، واستجابة ذاتية للنزعة الحديثة في التفكير . وهو أول من نظم الشعر التمثيلي في اللغة العربية ؛ وكان يجذب الشعر الحر والمرسل ، وينظم منهما بعض قصائده .

ويتراوح شعره بين النزعة الرومانسية في يفوقته وشبابه ، وتظهر في قصائده الغزلية والوجدانية والطبيعية والنفسية ؛ وبين النزعة الصوفية والاجتماعية والإنسانية في كهولته ؛ والنزعة الواقعية التي تظهر في شعره منذ أصدر ديوانه « عودة الراعي » عام ١٩٤٢ حتى وفاته ؛ وإن كان الاتجاه السائد في شعره هو الاتجاه الرومانسي ، ومع ذلك فله شعر رمزي بديع .

ويعد رائداً للمدرسة الرومانسية في الشعر العربي المعاصر ، ومن الذين بذروا بنور الواقعية الحديثة في الأدب ؛ وهذه المدرسة هي التي حملت لواء الشعر بعد شوقي وحافظ ، متابعة خطا المجددين ، من أمثال مطران وشكري ومحرم ، ومتأسيّة في كفاحها الأدبي بتحليل مطران الشاعر العربي الابتداعي الأول ، وكانت تدعو إلى التجديد في أوسع نطاق ، وإلى الأصالة في أبعد حدودها ، وإلى تمثيل روح الفن والموهبة في إنتاج الشاعر .

ودواوين أبى شادى المطبوعة الثلاثة والعشرون ، وقصصه  
ومسرحياته العشر ، درة متألقة فى جبين الشعر المعاصر ؛ ففيها روائع  
من القصيد لم تجد بها قريحة شاعر . وتمتاز بجدة المعانى وابتكارها  
وطرافتها ، وتعدد الأخيلة ، مع العناية بالجو الفنى للألفاظ ، وتركيز  
الأسلوب ، وكثرة الصور ، والحرص على الوحدة الفنية ، والتجربة  
الشعورية ، والانسجام الموسيقى .

### ٣

وكان شاعرنا يؤمن بالإنسانية فى الثقافة ، ومن ثم درس روائع  
الأدب العربى قديمه وحديثه ، وتناول أصول الأدب الإغريقى ،  
ومذاهب البلاغة عند الأوربيين ، واطلع على آثار العلوم والفكر  
فى كل لغة وثقافة .

ومع سيادة النزعة الوطنية والقومية فى تفكير أبى شادى وأدبه ،  
تبلى فيهما كذلك روح النزعة العلمية ، وآثار من النزعة الإنسانية  
التي لوّنت حياته وأدبه وشعره بألوان مشرقة بالحُب والإخاء  
الانسانى .

لقد كان صورة زاهية للفكر المصرى المتحرر ، وكان يقف  
فى الصف الأول مع المدافعين عن حرية الفكر ، يقول : « إن الأمم

الراقية لن تحترمنا لو أد الفكر كيفما كان ؛ وإنما تحترمنا لاحترامه » ؛  
ويقول : « إن الأديب العربى فى حاجة ماسة إلى تشرب الحرية ،  
وهذه الحرية هى التى توحى بالتسامح والترحيب بجميع ألوان الإنتاج  
الأدبى وغير الأدبى ، تاركة للزمن غر بلتها » .

#### ٤

هذا هو أبوشادى الذى توفى عن ثلاثة وستين عاماً ( ١٨٩٢ —  
١٩٥٥ م ) قضاها فى إعزاز رسالة الحضارة ودفع عجلة التقدم ، وقد ولد  
ونشأ فى القاهرة ، وتثقف فى مدارسها ، ودخل مدرسة طب قصر  
العينى ليتعلم الطب فيها ، وسرعان ما تركها وسافر إلى إنجلترا لإكمال  
دراسته ؛ ومن عجب أن يهاجر من مصر إلى إنجلترا فى الرابع عشر من  
أبريل ١٩١٢ ، حيث قضى فى لندن عشر سنوات عاد بعدها إلى وطنه ،  
يخدمه ويضحى فى سبيله بكل شئ ؛ وأن يهاجر إلى أمريكا فى  
الرابع عشر من أبريل عام ١٩٤٦ ، حيث عاش هناك تسعة أعوام ،  
بعيدا عن وطنه وأهله ؛ وفى الرابع عشر من أبريل عام ١٩٥٥ أذيع نعي  
الشاعر فى مصر ، وطويت صفحة مشرقة بالكفاح والمجد والعبقرية ،  
وانتهت حياة رجل كانت حياته فخراً لمصر والعرب والشرق فى  
كل مكان .

تذكرت كل ذلك وأنا أقدم هذا الكتاب الذى دعنى إلى كتابة مقدمته ابنة شاعرنا الكبير الأنسة صفية أبو شادى ؛ وليست كتب الشاعر فى حاجة إلى تقديم ، فهى تقدم نفسها إلى القراء فى ثقة واطمئنان واعتزاز بالطاقة الفكرية التى تمثلها . ولكنى أقول : إن دراسات أبى شادى تستمد عناصرها الأصيلة من خبرته الطويلة ، وثقافته الواسعة ، وفكره العميق ، وذهنه الحاد ، وعقله العميق الإدراك لدقائق الأشياء ، وأصولها وجوهرها ، ولأسبابها ومسبباتها .

لقد كان لى الخط فى دراسة أبى شادى المفكر الأديب الشاعر فى كتابى « رائد الشعر الحديث » ؛ وفى الإسهام فى نشر بعض آثاره المخطوطة ؛ وكما عشت فى جو أبى شادى الفكرى والأدبى ، شعرت بسعادة نفسية لا تماثلها سعادة ؛ هذا الإنسان العبقري الذى كان أعظم سفير ، بعثته مصر ممثلاً لها فى العالم الجديد ، واحترمه هناك العلماء والأدباء والمفكرون والاستشراقيون ، واحترموا فى شخصه مصر البانية ، الساعية إلى التقدم والتجديد .

إننى أحى ذكرى الشاعر الكبير ، متمنيا لآثاره النشر والذيع والفهم والتقدير ، حتى يزداد الناس تقديراً له . وإكباراً لحويته وذهنه وعميق إدراكه للحياة ؟

في التاريخ



# عيد استقلال الأمريكى

( ٤ يوليو سنة ١٩٥١ )

فى الرابع من يولية سنة ست وسبعين وسبعائة بعد الألف لليلاد  
غُفِمت البشرية غُفماً أدياً عظيماً باعلان الكونجرس الأمريكى حقوق  
الشعوب إعلانياً جديراً لا مواربة فيه ، إذ نصّت الوثيقة التى اعتمدها  
على مبادئ انسانية وفلسفية عالية تَشَبَّهَتْ بها الأمة الأمريكية منذ  
بدء تاريخها القومى حتى اليوم وَبَثَّتْهَا فى أرجاء العالم ، فعزّزت وما تزال  
تعزيزُ تَقْدُّمِ البشرية أدياً ومادياً ، وأصبحت مناراً ربيعاً للديمقراطية  
الحقة فى العالم بأسره .

وقد جاء فى هذه الوثيقة التاريخية الخالدة :

« إننا نعتقد هذه الحقائق بديهية : إنّ الأفراد بأجمعهم خلُقوا  
متساوين ، وقد منحهم الخالق حقوقاً معينة غير قابلة الانزعاع .  
ومن هذه الحقوق الحياة والحرية والسعى نحو السعادة . ولصيانة هذه  
الحقوق تُنشأ الحكومات بين الناس . فستمد هذه الحكومات  
سلطتها العادلة من رضى المحكومين . وإنّ أية حكومة — مهما كان  
شكلها — إذا أصبحت هدّامة لهذه الغايات ، فمن حق الشعب أن يُغيّرها

أَوْ يُنْفِئُهَا وَيُنْشِئُ مَكَانَهَا حُكُومَةً جَدِيدَةً يَضَعُ أَسَاسَهَا عَلَى مَا يَبْدُو لَهُ  
 مِنْ مَبَادِئَ، وَيَنْظُمُ سُلْطَتَهَا عَلَى مَا يَتَرَاءَى لَهُ مِنْ أَشْكَالٍ تَضْمَنُ لَهُ  
 السَّلَامَةُ وَالسَّعَادَةُ .

وقد أوحى مَوَاكِبُ البَهْجَةِ فِي عِيدِ الاستقلالِ الأَمْرِيكَى اليَوْمَ  
 بِالْقَصِيدَةِ الْآتِيَةِ لِشَاعِرٍ عَرَبِيٍّ فِي نِيُورُوكَ :

أَمَواكِبُ الدُّكْرِى تَأْتِى وَاهْتَفِى	كَالرَّعْدِ يَهْتَفِى لِلسَّمَاءِ مِرَارًا
تَتَجَاوَبُ الْأَجْيَالُ حَوْلَكَ مِنْلَمَا	تَتَجَاوَبُ السَّبْعُ الطَّبَاقُ جِهَارًا
مَرْفُوعَةً الْأَعْنَاقِ لَيْسَ لِزَهْوِهَا	مَعْنَى الْغُرُورِ ، بَلِ السُّمُوءِ ، شِعَارًا
سِيرِى مَلَايِمَ لِلْفَخَارِ ، وَأُنْشِدِى	لِلخَالِدِينَ الْحُبَّ وَالْأَشْمَارَا
سِيرِى مَائِرَ لِلتَّحَرُّرِ وَالْعَلَى	فَالْيَوْمَ يُبْلِغُهُمْ حَفْظُكَ الْأَحْرَارَا
وَيَصُوغُ لِلْأَقْدَارِ سِيرَتَهَا غَدًا	فَتُكَيِّفُ الْأَحْلَامَ وَالْأَقْدَارَا
يُضْنِى الزَّمَانُ إِلَى نَشِيدِكَ ، وَاعْيَا	مَا كَانَ فِي ماضِي الزَّمَانِ مُعَارَا
لَا حُكْمَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا مَا قَضَتْ	شَيْمُ الشُّعُوبِ بِهِ ، وَإِلَّا أَنْهَارَا
سَتَرْدُدُ الْأَقْطَارُ صَوْتَكَ ، قَاهِرَا	خَوَرُ النُّفُوسِ ، وَسَائِحَا جَبَّارَا
سِيرُ الْبُطُولَةِ كَالْمَعَارِفِ لِلنَّهَى	تَقْذُو الشُّعُورَ ، وَتَخْلُقُ الْأَفْكَارَا
رَوَى الدَّمُ الْغَالِي مَائِرَهَا ، كَمَا	شَعَتْ بِأَبْهَى التَّضْخِيَّاتِ مَنَارَا



وَجَلَّالْمَاحِي، وَإِنْ هِيَ وَوَرِيَتْ حِقَابًا مِنَ التَّارِيخِ لَا تَتَوَارَى !

\*\*\*

عِيدٌ يُقَدِّسُهُ ذَوْوُهُ تَفَانِيًا	وَيَظَلُّ فِيهِمْ حَاكِمًا قَهْرًا
هُوَ لِلْبَرِيَّةِ كُلِّهَا : إِيْمَانُهَا	أَوْ ثَارُهَا أَيْآنَ تَطْلُبُ ثَارًا
صَانَتْ مَبَادِئُهُ السَّلَامَ وَإِنْ تَكُنْ	حَمَلَتْ إِبَاءَ الصُّلْبِ يُقْدَحُ نَارًا
يَا وَيْلَ مَنْ عَمِلُوا عَلَى إِرْهَاقِهِ	مِثْلُ الْحَلِيمِ عَلَى التَّعَصُّفِ ثَارًا
أَتَخَذَ النُّجُومَ شِعَارَهُ ، وَلَعَلَّهَا	أَوْلَى بِهِ فِي فَهْمِهَا الْأَسْرَارَا
فَلْتَنْصِتِ الدُّنْيَا مَا هُوَ قَائِلٌ	فُتْصِفْ إِلَى أَعْمَارِهَا أَعْمَارَا !

## مِيلاد الحُرِّيَّة

نحن الآن نمتطون عَجَلَةَ الزَّمن ، وقد عاد بنا القهقري إلى الرابع  
من يولييه سنة ألف وسبعمئة وستٍ وسبعينَ عند الساعة الثانية بعد الظهر  
بمدينة فيلادلفيا أمامَ بناءِ البلدية ، وإذا بالأجراسِ تُقَرَّعُ ، بينما اجتمعَ  
خلقٌ كثيرٌ ، وأمامنا زمرةٌ من المثقفين يتحدثون :

\*\*\*

جورج : لقد تمَّ الأمر !

سميث : ها هو صديقنا آدمز خارجٌ من الاجتماع . . . لقد  
لَمَحْنَا . . . ها هو قادمٌ نحونا !

هربرت : إنه أجدرُ المؤتمرين بالتهنئة !

آدمز : تهنئاتي إليكم أيها الأصدقاء .

جورج : بل التهنئة لك !

هربرت : أنت الأحقُّ بها ، فنحن نعرفُ جهْدَكَ فيما تمَّ !

آدمز : كلاً ! كلاً ! ما أنا إلا أحدكم ، وعلى أخصِّ اعتبار لستُ

إلاَّ أحدَ خمسةٍ وضعوا وثيقةَ إعلان الاستقلال التي دَبَّجَتْ

صِيغَتَهَا الأساسيةَ يراعة صديقنا جفرسن .

صيفتها الأساسية يراعة صديقنا جفرسن .

مهمث : الحق ملك يا صاحبي . اليوم عيدٌ لنا جميعاً . هو عيد لجيلنا وللأجيال المقبلة . فالفرحة عامةٌ والتهنئة عامةٌ .

آدمز : إنَّ اليومَ ميلادُ الحرية لبلادنا ، بل ميلاد حرية جديدة للعالم بأسره ، حينما فهمتْ وقُدِّرَتْ وكوَفَّحَ من أجلها وحرِّصَ عليها . إنَّنا لم نكن إلا ترَّجُمانَ الشعب في النهاية . صحيحٌ أنَّ طوماس بين في نشرته العظيمة (Common Sense) « حُسنِ التَّقديرِ » التي طُبِعَتْ مِنْهَا مائةُ ألفِ نسخةٍ كان الرَّائدُ المُفصِّحَ في الدَّعوة إلى التحرُّر — وفي تلقين الشعب أسمى معاني الحرية التي لا توجد كرامةٌ حقَّةٌ بدونها ، ولكنَّ الإيمانَ الذي غرسه في الشعب شَبٌّ وترعرعَ وانتشرَ بسرعة مدهشة ، فإذا بالولايات الثلاث عشرة تكونُ رأياً عاماً قوياً حازماً يقضى على المتشككين والمتردِّدين ، وعلى إرادته على الكونجرس ، وها هي النتيجةُ ماثلة أمامكم ، وها هي الأجراسُ تدقُّ لكم البشرى .

( قرع أجراس الحرية )

ادمز مواسلا حديثه  
 ثَقُوا بأنه لا طوماس بين ولا طوماس جفرسن ولا بنيامين  
 فرانكلين ولا أنا ( جون آدمز ) ولا أئ من زملائنا  
 بالقادر على خَلْق الحياة الجديدة ، ولم يكن الشعبُ مستعداً  
 لها ، بحيث يَمُت الاستعمار أشدَّ المَوتِ ويعتبر الاستِقلالَ  
 مرادفَ الحياة .

هربرت : هذا صحيح يا جون ، ولكنكم أتم الذين خلقتُم هذا الوَعْيَ  
 الجديدَ في الشعبِ .

سميث : صحيحٌ ، صحيحٌ !

آدمز : الحديثُ عن الوَعْيِ ما هو إلا شقشقةُ لسانٍ ، ما لم نَرَ هذا  
 الوَعْيَ إيماناً راسخاً فعلاً ، وتضامناً صحيحاً .

جورج : أتذكرُ يا سميثُ مصداقاً لما يقوله جون الآن — ما كنتُ  
 قرأته لك من الحُكْمِ الشرقيَّةِ المقدَّسةِ عن أنَّ الله لا يُغَيِّرُ  
 ما يقومُ حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم ، وأنَّ التضامن بين  
 المؤمنين بعقيدة — كيفما كانت — يجبُ أن يتخذَ صورةَ  
 الهُنيانِ المرصوصِ يَشُدُّ بعضُهُ بعضاً ؟

سميث : أذكر هذا يا جورج ، وأغلبُ ظني أن هذه الحكم الصادقة

مقتبسة من القرآن الشريف الذى يدين به ملايينٌ عديليون  
من البشر .

هربت : صحيحٌ ، صحيحٌ ! تصوّروا لو أن هذه الملايين اعتنقت هذه  
المبادئ فعلاً ، وعضت عليها بالنواجذ ، وحرصت على  
تطبيقها ، أية قوة هائلة متحررة يمكن أن تتألف منها ،  
وأية حليفة طبيعية لنا يمكن أن تنجم عنها !

آدمز : صدقت يا هربت ! إنَّ الحرص على التطبيق هو أمُّ  
ما يصون الحقَّ والحرية . أمّا الأقوال والقرارات وحدها  
فلا تكفى . لا بدَّ من التفانى فى سبيل الحق . لا بدَّ من  
التضحية . لا بدَّ من بطولة الإيمان التى لا تقهرها المخاطرُ  
والويلاتُ والأهوالُ ، بل قد تُرحب بها كشمسٍ لا بدَّ من  
دفعه صيانةً للتراث المقدس ولحقوق الأولاد والأحفاد .  
لا بدَّ من الإعراض عن الروح النفعية ، ومن الإقبال على  
القيم المثالية الخالدة التى تخلق وحدها من الحرمان نعمةً ،  
ومن الجحيم جنةً ، ومن الضعف قوةً غالبةً تكسحُ  
المجتبرين الحاكين بأمرهم والعنّة المتسلطين فى غفلة الزمن !

( تصفيق )

هربرت : دَعْنَا نَصْفَقْ لَكَ ياجون . ياليتنى بل ليتنا جميعاً اسطعنأ حضور  
اجتماعكم حتى كنا نستمع إلى خطاباتكم الفصيحة الساحرة !

ميشو جوج : نعم ، نعم !

آدمز : إِنَّ الخطبةَ الفصيحةَ الرائعةَ لم تُلقَ بعد . وستكون خطبةً  
مؤلةً طويلةً مريرةً ، ولكن المؤمنين جميعاً سيتعلقون بها .  
إنها خطبةٌ لا بدَّ من إلقتها . إنها معاركُ الكفاح لأجل  
تحقيق الاستقلال الأكيد بالفعل . أما التمهيدُ لهذه الخطبة  
فهو وثيقةُ الاستقلال التي أقرناها منذ برهةٍ وأعلنّاها .  
وإنها بمبادئها التي قد تفوقُ مبادئ الثورة الفرنسيةَ لَبِثَتْ  
جديدٌ للحرية في جميع أرجاء العالم المنكوب بالمستغلين  
والظالمين والمستهترين المستعمرين الوارثين بَيْعِ الشعوب  
وشراءها كأنها من سقط المتاع ! اسمعوا أيها الأصدقاء بعضَ  
ما تضمنته هذه الوثيقةُ من المبادئ الثورية الشريفة التي  
لا بدَّ لحياة الشعب وعزته من أن يسطرها بدمه : «إننا نعتقد  
هذه الحقائقَ بديهيةً . . . إنَّ الأفرادَ بأجمعهم قد خُلِقُوا  
متساوين ، وقد منحهم خالقهم حُقوقاً معينةً غيرَ قابلةٍ

الانزعاج . ومن هذه الحقوق الحياة والحرية والسّقى نحو  
السعادة . ولصيانة هذه الحقوق تُنشأ الحكومات بين  
الناس ، فنستمدّ هذه الحكومات سُلطتها العادلة من رضى  
المحكومين . وإنّ أية حكومة — مهما كان شكلها — إذا  
أصبحت هدّامة لهذه الغايات فحقّ الشعب أن يُغيّرها  
أو يُلغيها ويُنشئ مكانها حكومة جديدة يضعُ أساسها على  
ما يبدؤونه من مبادئ ويُنظّمُ سلطتها على ما يترأى له  
من أشكال تضمّنُ له السّلامة والسعادة .

## خطاب جيتسبرج

### THE GETTYSBURG ADDRESS

« متى استعبدتمُ الناسَ وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ ! » —  
كلمةٌ مُدَوِّيةٌ قالها عمرُ بنُ الخطابِ منذُ قُرُونٍ ، تذكيراً وتنبهاً وتعنيفاً ،  
وما زالت ناموساً وإلهاماً للمصلحين المسلمين ، حتى قال فيه شاعر النيل  
محمدٌ حافظٌ إبراهيمُ :

دَرَى عَمِيدُ بَنِي الشُّوْرَى بِمَوْضِعِهَا      فَعاشَ ما عاشَ بَيْنَها وَيُمَليها  
وما استبدَّ برأى في حُكومتِها      إِنَّ الحُكومتَ تُغْرِى مُستبدِّيها  
رَأَى الجُماعَةَ لا تُشَقِّى البِلادُ به      رَغَمَ الخِلافِ ، ورَأَى الفَرْدَ يَشَقِّقُها

وفي القرنِ الماضي ألقى أبراهام لنكولن كلماتٍ معدودةً اشتهرت باسم  
خطابِ جيتسبرج فدوّتْ كذلك في أمريكا ثم في العالمِ الحُرُّ جيلًا بعد  
جيلٍ ، وما زالت ناموساً وإلهاماً للمصلحين الرائدین في العالمِ بأسره .  
وهي على إيجازِها وانعدامِ التَفَرُّغِ لإعدادِها تُعتَبَرُ من روائعِ الأدبِ  
الأمريكي ، ولا يُقَارَبُها في الرُوعَةِ والفِصاحَةِ والخلودِ غيرُ ما كَتَبَهُ نَثْرَا



الشاعر الأمريكي الجيود كارل ساندبرج<sup>(١)</sup> عن جينسبرج ، وَرَوَّعَتَهَا  
وخلودها قائمان على ما شئت به أفاظها من إيمان قوي بالحقائق الأزلية  
التي تدور حول حقوق الكائن المفكر — الانسان الذي لولا حربيته  
وتفكيره لما كانت الأرض أهلاً للشكوى فيها — وحول شرف  
الاستشهاد في سبيلها ، وأثر هذا الاستشهاد في إحياء المثاليات العليا  
وإسعاد البشرية . فكانت وما زالت الوحي المقدس الذي تؤمن به  
أمريكا ويمثل معنوياتها أصدق تمثيل . وكان وما يزال أبراهام لنكولن  
من أنبياء الفكر الصافي الذين قلما يحود الدهر بهم .

\*\*\*

حول منتصف القرن التاسع عشر كانت الولايات المتحدة تتحول  
بسرعة إلى أمة صناعية . واتسعت تسهيلات الانتاج في الشمال بسبب  
كثرة المهاجرين الأوروبيين الميسورين للعمل في المصانع . أما الجنوب  
فكان لا يزال زراعياً ومعتمداً على سُخرة العبيد . ولقد قام النزاع بين  
الشمال والجنوب حول مشكلة النخاسة . ولما اتخذت الحكومة  
الأمريكية إجراءاتها لإلغاء النخاسة ثارت عليها الولايات الجنوبية  
وانفصلت عن الاتحاد .

وفي سنة ألفٍ وثمانمائةٍ وإحدى وستين هاجمتُ جيوشُ الجنوبِ  
قُوَّاتِ الاتحادِ ، فاشتعلتِ الحربُ الأهليةُ وتكبَّدَ جيشُ الاتحادِ  
في الشمالِ خسائرَ فادحةً في الرجالِ والمعداتِ . ولكن حولَ سنة ألفٍ  
وثمانمائةٍ واثنين وستين تمكَّنتِ الحكومةُ الفدراليةُ (الاتحاديةُ) من  
اتخاذِ خطةٍ الهجومِ . وحولَ سنة ألفٍ وثمانمائةٍ وثلاثٍ وستين انتصرتُ  
قُوَّاتُ الحكومةِ الفدراليةِ ( ورئيسها الأعلى لنكلن ) في معركةٍ  
قرَّرتُ مصيرَ الحربِ . تلك كانت معركةُ جينسبرج التي دفعَ الفريقُ  
المنتصرُ ثمنًا فادحًا فيها للنصر ، كما دفعَ الفريقُ المهزومُ ، بحيث رُوِّعتِ  
الخسائرُ الفادحةُ الأُمَّةَ بأسرها . وتركَ الجنوبيونَ الجرحى في الميدانِ ،  
قائمينَ بالفرارِ ، يُلاحقُهم الباقي من جيشِ الاتحادِ . وإزاءَ الخسارةِ  
الهائلةِ كانَ جميعُ القادرين على حملِ السلاحِ يُحاربون ، ولم يتيسَّرَ أحدٌ  
لنقلِ الجرحى ودَفْنِ الموتى .

وأثارَ الجمهورَ العِلمُ بأنَّ مَنْ استشهدوا في جينسبرج دفاعًا عن  
الاتحادِ ، وكذلك خُصومُهم القتلى ، ما يزالون دُونَ دَفْنٍ في مَيدانِ  
القتالِ بعدَ أسابيعٍ من المعركة .

كانَ التأثيرُ العامُ الباعثُ الأكبرَ لإنشاء أولِ مقبرةٍ قوميةٍ —

مقبرة جينسبرج في بنسلفانيا ووزعت الدعوات لحفلة تدشين المقبرة .  
وسئل إدوارد إفريت ( Edward Everett ) الذى كان معدوداً أبرز  
خطيب في وقته ( أن يُلقى الخطاب الرئيسى . ثم خطر للجنة أخيراً —  
بعد مرور عدة أسابيع — أن تدعو الرئيس لنسكن أيضاً ليقول بضع  
كلمات في الحفلة بوصفه رئيس الدولة . فأنارت الدعوة مناقشة حادة بين  
الجمهور . وكان أبراهام لنسكن موضوع خلافات وثقادات شديدة وذم  
وسخرية . وصورة خصومه كاريكاتوريا كخطاب أحمى ، أو ككاتب  
خشن الطباع في محلّ بقالة ، وعدوه أهون من أن يكون مُناظراً  
لخطيب من طراز إفريت في ظرفه الاجتماعى وثقافته منطيقته .

تعرض الرئيس للوزم على كل هزيمة لحقت بجيش الاتحاد خلال  
سنوات الحرب الأولى ، ولم يتقدم بمديحه إلا القليلون بعد معركة  
جينسبرج . كان لنسكن وأعدائه معرضين للهجوم الحاد في المؤتمرات  
الحكومية وفي اجتماعات مجلس الوزراء بواسطة ممثلى الفئات الكثيرة  
المنشقة . كان بعضهم متحمساً للانتقام السريع من الجنوب الخرب ،  
وكان سوام مهمما بانتقال البلاد اقتصادياً من حالة الحرب إلى حالة السلم .  
وأما لنسكن فكان يبحث حكومة الاتحاد على نبذ جميع الخلافات ،

إلى أن يتحقق نهائياً الضرر ، وإلى أن يستقر السلم الحق العادل  
في البلاد .

\*\*\*

رَكِبَ أبراهامُ لنكلن القطارَ قاصداً مِيدَانَ جِيسْبِرْج في  
الثامن عَشَرَ من نوفمبر سنة ألفٍ وثمانمائة وثلاث وستين . وكانت  
عرباتُ القطار غاصّةً بالجنودِ الجرحَى واللاجئين . فرأى الرئيسُ من  
نافذة القطار الخرابَ الفظيعَ الذي خَلَفَتْهُ الجيوشُ الزاحفةُ في أثرِها ،  
فلم يكن ثَمّةَ غيرِ الحطامِ الآدميِّ والبُؤسِ المُطلقِ . . . وفي محطةِ  
جِيسْبِرْج احتشدَ الأهالي لتحيةِ الرئيس . وكان كثيرون منهم قد هَرَبُوا  
من بُيوتِهِم المدمّرةِ ، وكانوا على حِدَادٍ لِفَقْدِ أَحِبَّائِهِم في الحرب ،  
وأرادوا أن يطمئنّوا إلى أن تضحياتِهِم لم تكن سُدَى . وفي الليلة  
السابقة لحفلةِ تدشينِ المقبرةِ جلسَ أبراهامُ لنكلن بمفرده ليضعَ خطبته .

كان لنكلن من صميمِ الشعب ، وقد وُلِدَ في كوخٍ خشبيٍّ  
عند الحدود ، وتعلّم في سِنٍّ مبكرةٍ أنَّ على الناس أن يتعاونوا  
لتحقيقِ خيرِهِم المشترك . ولَمَّا كان والدُ لنكلن فقيراً فقد كان  
على الصَّبِيِّ أن يَكْسِبَ قُوَّتَه . ففَعِلَ أولاً فلاحاً بمزرعةٍ ، ثمَّ  
فالقاً للخشب ، ثم كاتباً بمحلٍّ بقالةٍ . وعَلِمَ نفسه بنفسِه القراءة

والكتابة ، وأخيراً وَفَّقَ لأن يكون محامياً . ورغبةً منه في تحسين أحوال الناس الذين نشأ منهم ، دخل أبراهام لنكلن مِيدَانِ السياسةِ ، وفي النهاية أصبح الرئيسَ السادسَ عشرَ للولايات المتحدة .

وفي التاسع عشر من نوفمبر سنة ألفٍ وثمانمائةٍ وثلاثٍ وستين اجتمع ثلاثون ألفاً في فناء المقبرة ليشاركوا في حفلة التدشين . وقد تكلم الخطيبُ الشهيرُ إدوارد إفريت ساعتين ، ولكنَّ التاريخَ نَسِيَ منذ زمن ما كان يقول .

\*\*\*

أخيراً وقف أبراهام لنكلن ليلقيَ الخطابَ الذي صار فيما بعد وصيَّتَه لحقِّ الحريةِ أينما كانوا ، فقال :

« منذ سبعةٍ وثمانين عاماً خَلَقَ آبَاؤُنَا في هذه القارّةِ أُمَّةً جديدةً أُبدِعَتْ بروح الحريةِ وكُرِّست لفكرةِ أنَّ جميع الناسِ خُلِقُوا متساوين . والآن نحن منهمكون في حربٍ أهليّةٍ عظيمةٍ تحتبرُ قُدْرَةَ هذه الأُمّةِ ، بل آيةِ أُمّةٍ كَوْنَتْ وكُرِّست هكذا ، على طول الاحتمال .

لقد اجتمعنا في مِيدَانٍ عظيمٍ لتلك الحرب . اجتمعنا لتدشينِ

شطر منه كشوى أخيرٍ لأولئك الذين وهبوا حياتهم كما تعيش هذه الأمة . فنن الياقة والسدادِ معاً أن نعمل هذا حتماً . ولكننا بمقَى أكبر لا نستطيع أن ندشنَ ، ولا يمكننا أن نُكرسَ ، ولا يسعنا أن نُقدمَ هذه الأرض . إنَّ الشُّجعانَ ، أحياءَ وأمواتاً ، الذين جاهدوا هنا قد كرسوها إلى مدى أبعدَ كثيراً عن قُدرتنا على الإضافة أو النقصان . وقلّ ما سيلاحظه العالمُ أو ما سيذكره طويلاً ممّا نقوله هنا ، ولكنه لن يَنسى أبداً ما فعلوه هنا . إنَّ الأخرى أن نكرسَ أنفسنا — نحن الأحياء — للعمل الذى لم يَتِمَّ بعدُ ، ذلك الذى قامَ بإنجازه بكلُّ نُبلٍ أولئك الذين جاهدوا هنا .

إنَّ الأخرى بنا أن نكرسَ أنفسنا هنا للواجبِ العظيمِ الباقى أمامنا — حتى نستمُدَّ من هؤلاء الموتى المجدِّينِ ولاءَ مُزداداً لتلك القضيةِ التى وهبوا هنا ولاءهم الكاملَ الأخيرَ ، وحتى تُصمَّ تصميمًا قاطعاً على أن هؤلاء الموتى لم يكن استشهادهم عبثاً ، وعلى أن هذه الأمة ، بعنايةِ الله ، سيكون لها ميلادٌ جديدٌ من الحرية ، وأنَّ حكومة الشعبِ ، بواسطة الشعبِ ، لأجلِ الشعبِ ، لن تَمُحى من الأرضِ » .

بهذه الكلمات الودعية القوية ، البليغة النافذة ، تكلم إبراهيم  
لنكلن لأُمته وللأحقاب من على منبر التاريخ ، داعياً بحرارة إيمانه إلى  
المحافظة على أسلوب الحياة الحرة الذى يضمن الكرامة والمساواة  
للجميع . وحين دعا الناس إلى التضامن والتصميم على ألا يدعوا  
استشهاد أولئك الأبطال يذهب سدى ، بل عليهم أن يستمدوا من  
أولئك الموتى المشرفين إخلاصاً مُزداداً للقضية التى استشهدوا فى سبيلها ،  
جاءت ألقاظه البليغة فى نُبل مُشرق — على الرغم من تركيزها المتين —  
مُشرق باليقين ، وببقرية الذهن والخلق معاً ، فأتست على الفور  
بميسم الأدب الرفيع الخالد .

\*\*\*

وبعد مرورِ تسعين عاماً أو تكادُ أُوَحَّتْ إلينا خُطبةُ لنكلن  
الخالدة فى جِنْسِبرِجِ هذا الشَّعرِ :

هَذِي وَصِيَّتُكَ النَّفِيسَةُ لَمْ تَزَلْ      أَلْقَا تَرَجَرَجَ فى القَمامِ الوَادِى  
مُسْتَلْهَمَ الْأَحْرَارِ بَيْنَ عَوَاصِفِ      دُفْمٍ ، وَبَيْنَ فَوَاجِعِ وَصَوَاعِفِ  
وَتَظَلُّ فى بَحْرِ الْأَثِيرِ مَصُونَةً      وَلَوْ أَنَّهَا هَبَطَتْ لَنَا مِنْ حَالَتِ  
تَجْرِي عَلَى أَمَاجِهِ جَرَيَانَهَا      مِلءُ الْمُصَوِّرِ كَرَاخَاتِ فَيَالَتِ

وَلَيْنَ تَكُنْ خُلِقْتَ لِضِعْ دَقَائِقِ فَسَمَتْ لَنَا خُلُقًا مُمَوِّ الخالقِ  
 سَخِرَتْ مِنَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى أَخْرَسَتْ مُصْلَفًا وَأَتَتْ عَلَى التَّحَامِقِ  
 تَسْعُونَ عَامًا أَوْ تَكَادُ قَدْ انْقَضَتْ لَمَّا نَطَقَتْ بِهَا كَأَحْكَمِ نَاطِقِ  
 وَكَأَنَّهَا حُكْمُ الْقُرُونِ فَلَمْ تَزَلْ تَدْوِي لِأَخْصَامِ لَنَا وَأَصَادِقِ  
 فِي كُلِّ لَقْظٍ لَذْعَةٌ وَتَحْرِقُ وَيَلُ عَلَى الظُّلَمِ الْعَتِي السَّاحِقِ  
 لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَى حَيَاةً مِثْلَهَا ذُخِرَتْ وَشَعَتْ مِنْ أَعَزِّ حَقَائِقِ  
 وَتَعَلَّقَ الْأَحْيَاءُ — حِينَ تَعَلَّقُوا شَفَفًا بِهَا — بِأَعَزِّ حُلْمٍ صَادِقِ  
 وَافْتَرَزَتِ الْأَجْدَاثُ وَهِيَ خَوَاشِعُ يَبْدِ الْخَرِيفِ مِنَ الْبَيَانِ الشَّائِقِ  
 لَا مِنْ رِيَّاحِ سَافِيَاتٍ حَوْلَهَا أَوْ ذِكْرِيَّاتٍ مُرَّةٍ وَبَوَائِقِ  
 إِنْ يَفْخَرِ الْمَوْتَى ، فَمَنْ أَسْتَمَقَتْهُمْ مَا قُلْتَ قَدْ عَاشُوا بِفَخْرٍ السَّابِقِ  
 تَكِبُّوا عَلَى سُرْرِ الزَّمَانِ قِيَاصِرًا مَتَضَوِّعِينَ مِنَ الْحَدِيثِ الْعَابِقِ  
 وَكَأَنَّهُمْ رُسُلُ (الْمَسِيحِ) يَوْغِظُهُ حُرًّا عَلَى الْجَبَلِ الْفَخُورِ السَّامِقِ!

\*\*\*

تَبْهَى (جِنْسِ بَرْجٍ) الْعَزِيزَةُ بِالَّذِي كَازَتْ تَمَاوُكُ بَعْدَ تَرْبٍ وَامِقِ  
 فَكَلَامَا تَمِيعَ النَّدَاءِ وَصَانَهُ رُوحًا وَجِنْمًا ، فِي صَدَى وَخِلَاطِقِ



مِيرَاثُ شَعْبٍ لَمْ يَزَلْ وَطَنَ الْعَلَى	وَمَلَاذَ أَحْرَارٍ وَمَلْجَأَ طَارِقِ
بَلَفَتْ حَضَارَتُهُ نِهَايَةَ ذُرْوَةٍ	تُرْجَى ، وَمَا خَذَلَتْ تَطْلُعَ وَائِقِ
مَا ضَرَّهُ أَنْ هَدَدَ الْجَبْرُوتُ أَوْ	أَنْ هَدَدَ الْحَقُّ بِمَضْبَةِ حَانِقِ
شَتَانَ بَيْنَ الْغَاصِبِينَ شِعَارُهُمْ	سَفَكَ الدَّمَاءَ وَذَبَذَبَتْ مُنَافِقِ
وَالرَّائِدِينَ الْمُصْلِحِينَ ، شِعَارُهُمْ	مُتَلُّ تَرْقُفُ كَاللَّوَاءِ الْخَافِقِ !

## لنكولن الإنسان والفكر

لم يكن لدى لنكلن بطبيعة الحال أى تَوَهُّمٍ عن هيئته ، وذات مرة كان يشرح كيف أصبح حائزاً لمدينة كبيرة من صنفٍ مُعَيَّنٍ ، فقد جاءه رجلٌ لا يعرفه وبادرهُ بقوله : « عفواً يا سيدي ، ولكنّ معي شيئاً يجب أن يكون لك » ثم ناوله المدينة ، فسأله لنكلن أن يشرح له معنى ذلك ، فقال الغريبُ : « إنّ هذه المدينة أُعطيتُ إلىّ منذ سنين مع التوصية بأن أحتفظَ بها حتى أجد رجلاً أقبحَ صورةً مني . فدعني يا سيدي أقول إنك عدلاً أهدّ لها ! » .

وقصةٌ أخرى في الموضوع ذاته كان يُغنى بسردها تناول كيف وقف مرةً أمامَ المراقِ وماذا شاهدَ . فقال : « يا لقبِحِ صورتي التي شاهدتها ! لقد تمكّنتُ هذه الحقيقةُ من نفسي فاستقرّ رأيي على أنّي حتّى أقبحُ رجلٍ في العالم . جَنَنْتِي هذا الخاطرُ إلى درجةٍ جعلتني أصمُّ على أنّي إذا رأيتُ شخصاً أقبحَ فأسأضربه بالرصاص بمجرد رؤيته . ولم يمرّ وقتٌ طویلٌ حتى جاء أندي (Andy) إلى المدينة — ( وأندي هذا محامٍ كان في مجلس لنكلن عند مَرَدِهِ هذه الحكاية ) — وأوّل مرةٍ شاهدته قلتُ : هذا هو الرجل ! وذهبت إل المنزل وأنزلتُ

بندقتي وروحُ أُنفسُ في الطريق منتظراً إنباء وسرعان ما جاء .  
فصحتُ : قِفْ يا أُنْدَى ؛ مصوباً بندقتي إليه . قل صلواتك لأُنِّي  
سأرميك بالرصاص ! فتساءل أُنْدَى : لماذا يا مستر لنكلن ؟ ماذا جرى ؟  
قلتُ : لقد أقسمتُ أني إذا رأيتُ رجلاً أقبحَ مني فأسأله بالرصاص  
فوراً . إنك أقبحُ شكلاً بلا ريب ، وعلى ذلك استندَ الموتُ لِقَالَ  
أُنْدَى : أظن حقاً يا مستر لنكلن أني أقبحُ شكلاً منك ؟ فأجبتُه  
مؤكداً : أجل ! فأجاب أُنْدَى مواجهاً إياي : حسنًا يا مستر لنكلن ! إذا  
كنت أقبح منك فأقتلني ! » .

لم يكن لنكلن ليفخرَ بأرومته أكثر من غرّه بصورته ، وقد  
قال ذات مرة : « لستُ أعرف من كان جدِّي ، وإني لأكثر اهتماماً  
بمعرفة من سيكون حفيده » .

سأله مرةً أحدُهم : « هل تكتبُ أسرةً زوجتي ، وم أَلْ طُدْ  
(The Todds) ، اسم الأسرة بالبال المفردة أم للشدة ؟ فأجابه لنكلن  
إنَّ جُدَّ (God) (يعني الخالق) مكتوبٌ بـ دالٍ واحدة ، وأما أَلْ طُدْ  
فيحتاجون إلى دالين » . وطالبت مرةً سيدةٌ بوظيفة أميرالاي لابنها ،  
راويةً قائمةً طويلةً من الأجداد الذين اشتركوا في حروب شتى للولايات  
المتحدة ، فرفض لنكلن طلبها ملاحظاً : « أظن يا سيدتي أن أسرتك  
( ٢ — أبو شادي )

صنعت كثيراً للبلاد ، فالوقت قد حان لاعطاء آخرين فرصة !  
كذلك حاولت كونت بروسي أن يؤثر في لنكلن حينما جاء إليه  
يطلب مركزاً عالياً في الجيش الأمريكي ، وأخذ يسرد قائمة طويلة من  
الأعمال العظيمة التي قام بها سلته في جملة قرون . فقاطعه لنكلن بقوله :  
« حسنًا ! لا ينبغي أن يُفلقك ذلك . لن يقف ذلك في طريقك  
إذا ما تصرفت بحذقي ! » .

كان انتفاع لنكلن وحذقه الموهوب في الرد متجليين في مقابله  
ديبلوماسياً أجنياً جاء في البيت الأبيض فوجد الرئيس يلعب حذاه .  
فسأل الزائر : « ماذا يا حضرة الرئيس ؟ أنتلح حذاءك ؟ » فأجابه  
لنكلن : « نعم ! » حذاء من تلح أنت ؟

وبهذه المناسبة فسر لنكلن مرة سبب كثرة إصابته  
بالبرد قائلاً : إن السبب يرجع إلى أن مُنظم شخصه مائل على  
الأرض !

وفي خلة عشاء أخذ أحدهم يمجّد مؤرخاً معيّناً كتب عن اليونان  
القديمة ، فكان لنكلن يردّد ملاحظته أنه وجد ذلك المؤرخ مجهداً  
في قراءة كتابته : وأخيراً قال ذلك المقرظ للكتاب المؤرخ :  
« ولكنك يا حضرة الرئيس لا بد أن تعترف بأنه لا يوجد أديب »

في جبلنا غاص أعمق منه في ينبوع المعرفة ! « فأجابه لنكن : « أجل ، ولم يخرج أجف منه ! » .

وكان لنكن في البيت الأبيض يمشق تذكر تجاربه للسلية كحام شاب في حملاته الأولى . وذات مرة ذكر زائر قاضيا كان يصره لنكن . فلاحظ لنكن : « إن ذلك القاضي كانت له آراء قوية عن الحكومة الصارمة والوضع الدقيق لم ألق نظيره في رجل آخر » . ذكر مرة عنه أنه يشق الرجل إذا تمخط في الشارع ولكنه يبطل الحكم إذا لم يُعَيَّن فيه أية يد استعملها في التخط ! »

وكان لنكن يذكر قاضيا آخر من ولاية إلينوى كان مرة ينظر في قضية ثقيلة بعد ظهر يوم حار . وعند ما انتهى المحاميان الخصمان من إلقاء خطابيهما الموجهين إلى المحلفين ، وقف القاضي ليعلنهم بتكليفه فقال : أيها السادة المحلفون . ثم دفع بوحشية زوجا من الذباب الجائع عن رأسه الأصلع وراح يواصل خطابه قائلا : « لقد استعتم إلى كل الأدلة . فاذا صدقتم كل ما قاله وكيل الاتهام ، فقراركم يكون في مصلحة الاتهام . ولكن من جهة أخرى إذا صدقتم ما قاله وكيل الدفاع ، فعليكم إذن أن يكون قراركم لمصلحة الدفاع .

أما إذا كنتم مثلي لاتصدّقون ما قاله أيّهما ، فلعنة الله علىّ إذا كنتُ أعرف كيف سيكون تصرفكم ! » .

كان أحدُ الشّرافِ يسوق عربته في الطريق المؤدّي إلى بلدة إسبرنجفيلد (Springfield) فاستوقفه لنكلن مبادراً إياه بالاستنهام : « هل لك أن تتفضّل ياسيدى وتأخذ معظي إلى البلدة ؟ » فأجابه الرجلُ الغريبُ : « بكل سرور ، ولكن كيف ستحصل عليه ثانية ؟ » . فقال لنكلن : « آه ، بسرعة ، لأننى أنوى أن أبقى داخله » . وهذا يدلّ على أن لنكلن كان فى طليعة الرائدین من المُشاة الجوّالین الذين يستعينون بركوب العربات المجرّانى بين حين وحين .

جاءه أحدُ السّكان النّدائى لمدينةٍ خطبَ فيها لنكلن بعد أن فرغ لنكلن من إلقاء إحدى خطبه وقال له : « يا أبراهام ! كان ذلك خطاباً سديداً حادّقا ولكن كانت فيه بعض أشياء كانت خارجَ متناولٍ » . فأجابه لنكلن : « إنّى آسفٌ لسماع ذلك لقد كان لدىّ مرّةً نكّابٌ كان يحدّ بعض الصّعوبة مع البراغيث » .

خضر لنكلن فى أثناء حملاته الانتخابية بعض الصلوات الدينية التى كان يقوم بها المحترم پيتر كارتررايت (Peter Cartwright) وفى موقف من تمارين العبادة طلب المحترم كارتررايت من الجميع الذين يريدون

دخول الجنة أن يقفوا . فوقف الجميع بإعذار لنكلن . ثم سأل جميع الذين لا يرغبون في الذهاب إلى الجحيم أن يقفوا . ومرة أخرى يقى لنكلن جالساً . فعلق المحترم كارترايت على سلوكه بلهجة شديدة قائلاً : « إني دهش لرؤيتي أبراهام لنكلن هناك غير متأثر لهذين النداءين . فإذا كان المستر لنكلن لا يريد أن يذهب إلى الجنة ولا يريد أن يتجافى الجحيم فلهو يحدثنا أين يريد أن يذهب » . فأجابه لنكلن : « إني ذاهب إلى الكونغرس » .

ونفض مرة أحد المستمعين في اجتماع له صائحاً في عصبية : « إن الله القوى القادر وأبراهام لنكلن كفيلا أن يحقاً بإفقاد البلاد ! » . فأجابه لنكلن بجفاف : « يا صاحبي إنك مصيبٌ نصف إصابة » .

وذاث مرة بينما كان أحد المحلفين يُختار ، اعترض المحامي الخضمُ نظراً لمعرفة المحلف المختار بانسكان ، ومثل هذا الاعتراض في تلك الأيام كان يُعتبر مساساً شخصياً بالمحامي ، وبناء على ذلك رفض القاضي المترسُّ الجلسة ذلك الاعتراض . ولكن عندما وقف لنكلن بدوره لقخص المحلفين هذا حذو المحامي الخضم وشرع يسأل كل رجل إذا ما كان يعرف المحامي خصمه . وبعد أن ردَّ اثنان أو ثلاثة منهم بالإيجاب ، اعترض القاضي بقوله : « أنت الآن يا مستر لنكلن تضيق

الوقت . إن مجرد معرفة الحلف لخصمك لا يجرّده عن أهليته » . فأجابه  
لنكلن : « كلاً يا سيدى . ولكنى أخشى أن بعض هؤلاء السادة  
ربّما لا يعرفه ، وهذا يضعنى موضعاً سيئاً » .

ولنا أن نذكر إنذار لنكلن بأنه لا يوجد رجلٌ لديه ذاكرةٌ قويةٌ  
كافيةٌ لأن تجعله كاذباً ناجحاً ، ووصفه هاريت بيتشر استو *Harriet*  
*Becher Stowe* « بالمرأة الصغيرة التى ألّفت الكتاب الكبير » ،  
وإطنا به الوصف لشيء بأنه رهفٌ كالحساء المصنوع من غلى ظلّ حمامةٍ  
جُوعَتْ حتى الموت ! » . وربّما كان علينا أيضاً أن نذكر حادثة  
من عبادة البطولة فى شخص لنكلن رواها أستاذ بجامعة وسكنسن ،  
فقد كتب طالبٌ جامعى مبتدئ ( *Freshman* ) — أى فى السنة  
الأولى — « إن لنكلن وُلِدَ فى كوخ خشبيّ بناه هو بيديه ! » .



في الأدب والفن والموسيقى



## في حديقة البلور (قصيدة)

IN THE CRYSTAL GARDEN WASHINGTON, D.C.

وَقَفْنَا لَدَى «الشَّلَالِ» وَقَفَّةً عَائِدِ  
تُغَارِلُهُ الشَّمْسُ الْحَمِيَّةُ مِثْلَمَا  
وَهَذِي نُجُومٌ أُطْلِقَتْ دُونَ لَيْلِهَا  
وَمِنْ حَوْلِهَا الْأَدْغَالُ، لَكِنْ تَهْدَبْتُ  
يُنْفَعِي خَرِيرُ الْمَاءِ عَذْبًا كَأَنَّا  
وَهَذِي الظَّلَالُ النَّاعِيَاتُ تَنَاءَبَتْ  
نَسِيتُ مَرُورَ الْوَقْتِ أَقُولُ صَاحِبِي  
هُنَا مَظْهَرُ الْجَنَاتِ بِلِ ذَاكَ كُنْهَهَا  
تَطْلَمْتُ مَفْتُونًا وَحَوْلِي أُمَّةٌ  
مَشَامِدُ شَيْءٍ مِنْ أَرَامٍ قَصِيَّةٍ  
وَيَسْمَكُنَا دِفْنٌ<sup>(١)</sup> وَأَحْسَبُ أَنَّهَا  
تَأَخَّتْ وَإِنْ تَنْسَبُ إِلَى كُلِّ مُوْطِنٍ  
فَكَيْفَ يَبْنُو الْإِنْسَانُ، وَهُوَ مُتَوَجِّحٌ

فَقِيهِ لَنَا نُورٌ وَفِيهِ ضِرَامُ  
تُغَارِلُهُ الْأَشْجَارُ حِينَ تَنَامُ  
وَأَلْوَانُهَا فَوْقَ الْفُصُونِ مُدَامُ  
فَلَارِيبَةً لِلنَّاظِرِينَ تَسَامُ  
شَدَّتْ خَلْفَهُ حُورٌ وَرَفَّ سَلَامُ  
وَأَشْكُرُهَا لِلْحَالِمِينَ غَرَامُ  
فَمَا هُوَ وَقْتُ يَنْقَضِي وَكَلَامُ ؟  
وَعَمَّا عَدَامًا فِي الْحَيَاةِ يُصَامُ  
مِنْ النَّبْتِ، بَلْ دُنْيَا كَذَلِكَ تَقَامُ  
يُجْمَعُهَا لِلْعَارِفِينَ نِظَامُ  
بِالْقَتْمِهَا تَغْنَى غَنَى وَرَامُ  
وَبَاعِدَهَا تَمَّ وَبَانَ خِصَامُ  
كَأَنَّ ضِيَاءَ الْعَمَلِ فِيهِ ظَلَامُ ؟

أحمد زكي أبو شادي

(١) إشارة إلى التذمة الصناعية للحديقة .

## منظر شامل للأدب الأمريكي

فإنَّ التَّأليفَ كفنَ التعقيب لا يُقاس بالحجم ، وإنَّما بالنَّظراتِ  
الناطقة . وقد يكون التَّأليفُ أو التعقيبُ الموجزُ أشقَّ من عكسه ، لأنَّه  
يعتمدُ على النظرة الشاملة النافذة وعلى التركيزِ في الأسلوب وعلى الإيجازِ  
غيرِ الخللِ ، وعلى الحفاوةِ بصميمِ اللَّبابِ ، مع العزمِ في أسلوبِ  
جذَّابٍ ، بحيثُ يتأتَّى بالإنحاء للقارئِ ويُزجيه إلى التوسُّعِ في الاطلاعِ .  
وقد يكون من الضروريِّ لمن يبدأ بدراسةِ الأدبِ الأمريكيِّ أن  
يُلمَّ أولاً بهذه المعرفةِ العامَّةِ فتنهَّأهُ للتوسُّعِ الوافي فيما يودُّ التبحُّرَ فيه  
من أصولِ الأدبِ الأمريكيِّ . ومن أجلِ ذلك وجبَ التدقيقُ في اختيارِ  
الموجزاتِ المرشدةِ قبلَ العنايةِ بالبحوثِ المتخصصةِ ، فإنَّ الارشادَ  
الأوَّلَ الخاطيَّ المنفَرَّ لَيكونُ أبلغَ ضرراً من المعرفةِ الناقصةِ .

وفي مقدِّمةِ التصانيفِ التي نُشيرُ بالاطلاعِ عليها تمهيداً لتذوقِ  
الأدبِ الأمريكيِّ ، الكتابُ الجامعُ المسَّيَّ ( منظر شامل للأدبِ  
الأمريكيِّ ) تأليفُ الأستاذ تاسكر وِ تام *Panorama of American Literature by W. Tasker Witham* . قد جمعَ في ذوقِ بديعِ ما بين  
الفنِّ الأدبيِّ والفنِّ التصويريِّ ، إذ فيه أكثرُ من ثلاثمائةٍ من الصُّوَرِ

والرسوم التوضيحية للتصلة بسيرة نيف ومائة من شوامخ الأدب الأمريكي ، ولا تترك هذه الصور والرسوم الكتاب بأكثر مما يزيد في الأسلوب المترسل التلس الجليل الذي امتاز به المؤلف ، وقد تناول عصور الأدب الأمريكي من وقت جون سميث *John Smith* أيام الاستعمار الانجليزي الأول إلى وقت جون هيرسي *John Herscy* في زمننا الحاضر ، ملخصاً صفات كل أديب جدير على ضوء اهتمام هذا القصر به وأهم أعماله ، مع مقتطفات أدبية عديدة ، كما أن البيانات المجاورة لكل صورة ورسوم هي في ذاتها ثقافة أدبية مفيدة . وهذا الكتاب مطبوع ألخم طبع على ورق صقيل فاخر في تسع وثمانين وثلاثمائة صفحة من الحجم الكبير (١٠ X ٧ بوصة) بعناية شركة استيفن ديني *Stephen Daye Press*

إن الأستاذ وتام بوصفه أستاذ الأدب الانجليزي بكلية هارتووك *Hartwick* الشهيرة - في مقدمة من توفاهم مواهبهم لمثل هذا التأليف . وقد آمن طول عمره بأن دراسة الأدب أشبه ما تكون برحلة خلال الجبال يحتاج فيها الرجالون إلى دليل ماهر ليصعد بهم إلى القمم الشاخبة التي لم تبلغ قبلاً ، ليريههم المظهر الشامل للجمال الذي يحف بهم ويفتحهم بموحياته . وقد جاء الأستاذ وتام في كتابه هذا ممثلاً دور

ذلك الدليل النابذ الذي يرى مَنْ يصطحبونه الجمال الذي حوله وحولهم ،  
 لا عن ارتفاعه فحسب بل تأملاً معاً عن كُثْبٍ في الصور المتتابعة التي  
 توافُ وَحَدَّثُهَا صُورَةٌ عَامَّةٌ جامعةٌ ساحرةٌ . وأولُ العواملِ التي نَسَقَ  
 بموجبها كتابه هو إقبالُ القَادِرِ والجمهورِ على أدباءِ معيَّنين واعتراَفهم  
 بمنزلتهم ، وهو في ذلك ينهجُ نهجاً تقليدياً لأنَّه يتأثَّرُ في اختياره بمحكمِ  
 السابقين أو بحكمِ قراءِ هذا الجيل الذين يميلون أـ كثر إلى الشعراء والأدباءِ  
 المعاصرين ، فلا يَنْهَجُ نهجاً مستقلاً قوامه تقديرُهُ الشخصي ، كيفما  
 كانت أحكامُ سواء ، وإنْ عُدُّوا بالآلاف . ومع ذلك فإنَّ العاملَ الثاني  
 الذي تأثَّرَ به أصلحُ من العاملِ الأولِ المتقدِّمِ الذكرِ ، لأنَّ قوامه القِيَمَةُ  
 المستقرَّةُ أو البعيدةُ المدى لتلك الأعمالِ الأدبيةِ أو أثرها في كُتَّابِ  
 آخَرين . وبناءً على هذا الاعتبار أغفلَ الأستاذُ وتامَ ذكرُ أدباءِ في عهدِ  
 الاستعمارِ مثل جون وِنتروب *John Winthrop* وساره كِيبِل نايت  
*Sarah Kemele Knight* وأمثالهما مَنْ يتردَّدُ ذِكرُهم عادةً في كتبِ  
 تاريخِ الأدبِ الأمريكي ، بينما في الوقت ذاته ضُمَّنَ كتابه نيَّيرَ أدباءِ من  
 أمثال نُوح وِستر *Noah Webster* ، ويُولُ إلر مُور *Paul Elmer*  
*More* ، وإرفنج بابَّت *Iroing Babbitt* ، و هـ . ل . مينكن  
*H. L. Mencken* الذين اشتهروا بتأثيرهم في آدابِ سوامِ . وأمَّا العاملُ

الثالث الذى يَنْصَبُ على اختياره لأدباء القرن العشرين فيكاد يكون شبيهاً بالعامل الأول : ألا وهو التوزيعُ فى الاختيار ، ولو وقع اختياره على أدباء أحطَّ منزلةً ممن أغفلهم . مثال ذلك ذكره لويد دُجلاس *Lloyd C. Douglas* ليجرّد أنه صاحبُ قصصٍ إلماميةٍ يُحبّها كثيرون ، ولو أنّه لا خَطَرُ أدبى كبيرٍ لها ، وهذا ينطبقُ أيضاً على إدنا فَرَبَر *Edna Ferbar* التى اشتهرت بِقِصَصِها الغرامية فحسبُ . وما نعدُّ هذا عاملاً أدبياً صالحاً ، ولا العاملَ الأولَ الذى ساقه باهتِامُهُ بالمشهورين إلى إغفالٍ عددٍ من نوابغ أدباء الشباب الذين ظهروا فى هذا الجيل ، وفى مقدّمَتهم الشاعرُ كارل شاپيرو . *Karl Shapiro* والمؤلفُ المسرحى تَنيسى ولِمِز *Tennessee Williams* . وقد اعترفَ المؤلفُ بكل ذلك ، وبذلك جعل قراءه على يَدَنِهِ من خطئِهِ التى لا تقرأها ، على الرغم من تقديرنا للجمالِ الأدبىِّ الفنى المتجلىِّ فى جميعِ تآليفِهِ .

أما عن المؤلفين الأمريكيين الذين وُلِدُوا خارجَ أمريكا أو تَخَلَّوْا عن جنسيتِهِمْ الأمريكيةَ فقد وَقَفَ الأستاذُ تاشكر وِنامُ تجاههم موقفاً معقولاً ، إذ جعلَ حُكْمَهُ على إدماجهم فى مؤلفِهِ قائماً على تَبْلُغِ تأثيرِهم الأساسى أو الغالب ، فإذا كان أمريكياً اعتبرهم صالحين للدراسةِ إِيّاهم ، ماداموا من الناحيةِ الأدبيةِ جديرينَ بذلك . فثلاً هناك عددٌ

من الأدباء في العهد الاستعماري الأول ولُّنوا بالجلترا وبعضهم عاد إليها  
ولكنهم بحكم تأثرهم الغالب معدودون أمريكيين ، ولذلك نجدهم  
مذكورين في هذا الكتاب ، وكذلك في كتب التاريخ للأدب  
الأمريكي عادة . فهذا توماس بين *Thomas Paine* يُعدُّ أمريكياً  
أكثر منه إنجليزياً في رُوح كتابته ، وكذلك جورج سانتاينا  
*Georqe Santayana* الذي تعلَّم في أمريكا وتأثَّر بتقاليد نيو إنجلاند  
الطهرية ، ومثله هنري جيمس *Henry James* على الرغم من عالميته  
قد احتفظ بروحه الأمريكية . وإن نَفْسَ لا نَفْسَ القصص الشهير  
شولم آش *Sholem Asch* الذي وإن كان قد وفدَ على أمريكا وله  
حظُّه من الشهرة إلا أن إقامته الطويلة فيها طبعته بالطابع الأمريكي ،  
وفي أمريكا بالذات أخرج طائفة من المؤلفات الممتازة ، وعلى تقيضه  
الأديب الشاعر ت. س . إليوت *T. S. Elliot* الذي يُعدُّ الآن إنجليزياً  
من وجهة نظره أكثر منه أمريكياً ، ولكن من حيث إنه أمريكي المولد  
وأمريكي التعليم ، وأشعاره الأولى نظمها تحت سماء أمريكا فقد عدَّه  
المؤلِّف من الوجوه الأدبية أمريكياً وأدجبه في كتابه القيم ولو أنه تجنَّس  
بالجنسية البريطانية .



إنَّ المنظرَ الشاملَ للأدبِ الأمريكيَّ يتناولُ :

( ١ ) الأدبَ في العهدِ الاستعماريِّ ، وهو يمتدُّ من سنة ألفٍ وستمائةٍ وسبعٍ إلى سنة ألفٍ وثمانمائةٍ .

( ٢ ) الاستقلالَ الأدبيَّ ، وهو يمتدُّ من سنة ألفٍ وثمانمائةٍ إلى سنة ألفٍ وثمانمائةٍ وستين .

( ٣ ) الاستقلالَ القطاعيَّ أو الموضعيَّ ، وهو يمتدُّ من سنة ألفٍ وثمانمائةٍ وستين إلى سنة ألفٍ وثمانمائةٍ وتسعين .

( ٤ ) نهضة المذهب الواقعيِّ ، من سنة ألفٍ وثمانمائةٍ وتسعين إلى سنة ألفٍ وتسعمائةٍ وعشرين .

( ٥ ) أخيراً استمرارَ المذهبِ الواقعيِّ مع التجارِبِ الأدبيةِ الجديدةِ ، من سنة ألفٍ وتسعمائةٍ وعشرين إلى يومنا هذا .

وهذا المنظرُ يشملُ ثلاثة قرونٍ ونصفَ القرنِ ، كما يشملُ رجالاً ونساءً من عناصرَ ودياناتٍ وأروماتٍ متعدّدةٍ جاءتْ من قطاعاتٍ أو بقاعٍ نائيةٍ ، ولكنهم جميعاً تأثروا بالروحِ الأمريكيةِ فجاءتْ آثارُهم على تنوّعها من رُوحِ هذه البلادِ . ويقولُ الأستاذُ وتام إنه في كلِّ جيلٍ وعصرٍ كانتْ تتجلى الرُّوحُ الأمريكيَّةُ في الأدبِ الأمريكيِّ .

فالأهتمام بالكشف والمغامرة ظاهرٌ في الكتاباتِ الرائدةِ التي دَبَّجَهَا  
القبطان جون سميث *Captain John Smith* ولیم برادفور *William Bradford* ، في حين أن آل ماثر *Mather* وجوناثان إدواردز  
*Jonathan Edwards* يمثلون التحامل والتحيّز الدينيّ الذي عُرِفَ  
عن الطهرينّ الأوائلِ في نيوجانلاند . وأمّا توماس بين *Thomas Paine*  
وفيليب فرينو *Philtp Freneau* فتجلّى في كتابتهما الحماسة الوطنية  
والتشبُّثُ بالحرية اللذان أشعلا الثورة الأمريكية . وتزداد الحرية  
البيانية في سنوات الحرية الأولى ، كما يتجلّى اللونُ التصعيّثُ  
المحلّي إبانَ عهد الحرب الأهلية حيث لكلّ منطقة كبرياؤها  
الحياة وزهوها بذاتها . ثمّ يجيء دورُ الأدبِ الواقعيّ الذي  
صَحِبَ التَّزَعُّرُعَ المادّيّ في أواخرِ القرنِ التاسعِ قَسَرَ وأوائلِ  
القرنِ العشرينِ . ويَنقِبُهُ دورُ السُّخْريّةِ اللاذعةِ على إثرِ الحربِ  
العالمية الأولى ، إذ خاضت أمريكا غمارها وهي تَحْمِلُ بِطُوبَى جديدةٍ  
لم تَتَحَقَّقْ بل تَحَقَّقْ عكسها ، فانتابتِ الشُّبَّانَ المستيرين الذين  
اشتركوا فيها مَوْجَةٌ من اليأس الشديدِ والتهمك اللاذع ، وكان بين  
الرّائدین في هذا الميدان ماكسويل أندرسن *Maxwell Anderson*  
وإرنست هيمينجوي *Ernest Hemingway* ولیم فولكنر *William*

*Faulkner* وقد استمرت هذه الواقعية المؤلمة في الأدب الأمريكي ، ولو أنَّ الحرب العالمية الثانية لم تخدع الشعب الأمريكي كما خدعته الحرب الأولى عن عواقبها . ومن الأسماء اللامعة في الأدب الأمريكي الحديث فولكنر *Faulkner* وفارل *Farrell* ورايط *Wright* . والنزعة الجديدة وإن تكن واقعية ولا تمثُّ بصلية إلى النزعة الرُّمانسية التي كانت متغلّبة في القرن التاسع عشر ، إلا أنها ذات صبغة فلسفية عملية وشعارها الذي تدورُ حوله هو أنه على الإنسان أن يؤمن بإمكان نشوء عالم أفضل ، لأنه إذا لم يؤمن بذلك إيماناً كافياً لكفاحه في سبيله فلن يَحْصُلَ على هذا العالم ، وإذا لم يحصل عليه عاجلاً فسُتغنيهِ الأحداثُ حتماً .

وإخلاصةُ أن الأدب الأمريكي بمجموع عُصُوره يمثلُ ثورةً نفسيةً جديرةً بالدِّرسِ وكفيلةً بالمتعة ، وهو في وقتنا الحاضر يَتميّزُ بنزعة إنسانية تعاونية ، وباللَّعْوة إلى التآخي البشري ، وقد كان بين الرائدین لذلك ويندل وليكى *Wendell Welkie* في كتابه الشهير (عالمٌ واحدٌ) *One World* .

## الأدب المهجرى فى أمريكا الشمالية

إذا ذُكر الأدبُ المهجرى فى أمريكا الشمالية فإنَّ أولَ ما يَتَجعَّه إليه الانتباهُ صحافتُها — وهى صحافةٌ رشيقةٌ حيَّةٌ تمتاز على كثير من الصحفِ العربية فى الشرقِ بمراعاتها التمييزَ ما بين الأخبارِ المجرَّدة وبين التعليقاتِ ، فلا تَخْطُ بينهما بائىَّ حالٍ وترتفعُ بذلك عن التأثير الخفى . وهذا مبدأٌ مقدسٌ عند الصحافةِ الأمريكية عامةً ، وهو فى ذاته مظهرٌ لتكليف أدبها .

ومع أنه لا توجد فى الوقت الحاضر مجلةٌ أدبيةٌ عربيةٌ فى الولايات المتحدة الأمريكية ، إلا أنَّ صحفها تعوِّض عن ذلك إلى حدٍ كبيرٍ بمجموع محتوياتها . والمقالاتُ الأدبية التى تظهر فى ( السائح ) وفى ( السمر ) وفى ( الهدى ) — وكلها من صحفِ نيويورك — أشهر من أن تعرف . وإلى جانبها صحفٌ أخرى لها جولاتٌ أدبيةٌ أحياناً ( كمرآة الغرب ) فى نيويورك ، و ( نهضة العرب ) فى ديترويت ، و ( البيان ) فى واشنطن . وشامت جريدة ( الإصلاح ) النيويوركية أن تُصدرَ عدداً أدبياً ممتازاً فى كلِّ شهر ، ولكنها لم توفِّقْ إلى تحقيق هذه الأمانة ، ويخصها بنفعاته من وقت إلى آخر الشاعر المهجرى الفيكهُ الشهيرُ أسعد رستم .

بيد أن أكثر ما يشغل الصحافة المهاجرة هو الأدب السياسي ، وأحياناً تُغنى بالأدب الخلقى كما نرى في افتتاحيات (الإصلاح) للدكتور شوريذ ، أو بالأدب الاجتماعي كما نرى في افتتاحيات (الهدى) للآنسة ماري مكرزل ، أو بالمثاليات العربية كما نرى في افتتاحيات (نهضة العرب) لفيليب العقل ، أو بالأوضاع المقارنة بين الحضارة الأمريكية وسواها كما نرى في افتتاحيات (السمير) لإيليا أبي ماضي ، أو بفلسفة السياسة الإنسانية كما نرى في افتتاحيات (السائح) لعبد المسيح حدّاد .

أما موضوعات هذه الصحف فيمكن تقسيمها إلى قسمين : أحدهما عام وهو مرآة الحياة الأمريكية على تباين أوضاعها ، والآخر خاصٌ يتعلق بالمهاجرين وبأوطانهم الأصلية . والقسم الأول تقدّمى شائقٌ لأنه مرآة مصفّرة لحضارة العالم الجديد ، والقسم الثاني رجعى طائفيٌ ، وكثيراً ما يكون شخصياً ، وفي هذا تتورّط جميعُ صحف المهاجّرين دون استثناء ، حتى أن جريدة (الهدى) المعتبرة التي تُساند جمعية (النهضة اللبنانية) تُغنى سنوياً بإقامة ما يُدعى (المهرجان اللبناني الكبير) على اعتبار أنه مهرجان وطني صرفٌ ، وهذا ما حسبناه في مطلع قدومنا إلى الولايات المتحدة ، فإذا بنا تبيّنه مهرجاناً طائفيّاً مارونياً دينيّ الصبغة ، لا أثر للمسلمين فيه ، مع أنهم يؤثّقون نصف سكان لبنان أو أكثر ،

وكان الأولَى بهذا المهرجان أن يكون مستقلاً استقلالاً تاماً عن الأديان .  
ولكن الحقيقة التي لا نكران فيها أن جميع صحف المهجر دون استثناء  
تقريباً ذات صبغة طائفية دينية تؤثر على محصورها الأدبي ، ولعل أبعدها  
عن ذلك جريدة ( السائح ) التي نشأت لساناً ( للرابطة القلمية ) في  
نيويورك منذ أربعين عاماً ويحررها أعرق أساطين الأدب المهجري وهو  
عبد المسيح حداد .

وجريدة ( السائح ) أشبه ما تكون بمجلة أدبية ، وهي تصدر  
مرتين في الأسبوع ، وتتلاقى فيها أقلام كثيرة لناشرين وناظرين  
بعضهم من وراء البحار . وتأتي بعدها جريدة ( السمر ) اليومية  
النيويوركية في العناية بالأدبيات ، بحيث إذا أراد مؤلف أن يضع  
كتاباً يؤرخ به الأدب المعاصر في أمريكا الشمالية واقتباس نماذج  
منوعة منه ، وعلى الأخص من الشعر ، لما وجد أفضل من هاتين  
الجريدتين مرجعاً لدراسته واقتباسه ، وإن لم تخل الصحف الأخرى  
من نماذج أدبية طيبة بين حين وآخر مثل مقالات الأميرة نجلا  
أبي اللع معلوف الشهيرة التي تخص بها جريدة ( الهدى ) بعنوان « أحسن  
ما قرأت وما سمعت » ، ومثل مقالات السيد عبد الله برسي في جريدة  
( نهضة العرب ) التي تصدر عن مدينة ديترويت .

وإذا انتقلنا من الموضوعات المأهولة لهذه الصحف ، وهي جدٌ منوعَةٌ وعاقبةٌ غالباً بنفحات العالم الجديد ، ونظرنا في أساليبها ، وجدنا أكثرها يميل إلى الإيجاز البليغ الذي يوفر الفراغ والجهد ، وهذا ينطبق حتى على الشعر المهجري . وهذا التحرُّر البياني من شوائب التثنية والاسهاب الملل ، وهذه العناية بالتركيز الذي يطابق مقتضى الحال ، وهذا الشفُّ بالتجديد — كلُّ هذه المواقف والمظاهر ما عنت يوماً قطع الصلة بالأساليب الكلاسيكية الماثورة ، بل إن كثيراً من النثر والنظم ( الذي تطلع علينا به هذه الصحف ) كأنه من صياغة المنشئين للبدعين في أفضل عهود العصر العباسي ، ولكنه يمتاز برشاقة جديدة ، كما يمتاز بنبوءه عن اللغو . استمع مثلاً إلى هذه الأبيات الكلاسيكية الأسلوب عن عيد الشكر — « *Thanksgiving Day* » للشاعر المهجري نعمة الحاج من قصيدته في هذا العيد الأمريكي : —

رأيتُ الناسَ بالأفراح في ذا العيد أشباهاً  
وكلٌّ في الحياة له أمانئُ تمنَّاهَا  
ولي قلبٌ يَظَلُّ على عهودِ الحبِّ يرعاهَا  
خفوقٌ كلما ذُكرتْ حبيبته وناجَاهَا  
مَشُوقٌ لا يزال إلى لقاءها يَفرُّ الآمَاهَا

يَرَى فِي الْبَدْرِ أَوْ فِي الشَّمْسِ مَا طَلَقَا حَيَّاهَا  
وَيَسْمَعُ فِي صَدَاحِ الطَّيْرِ صَوْتًا عَنْ ثَنَائِيهَا  
وَيَنْشَقُّ فِي عَبِيرِ الْوَرْدِ عِنْدَ الصُّبْحِ رِيَّاهَا  
وَيَشْتَقِي حِينَ يَفْقَدُهَا وَيَسْعَدُ حِينَ يَلْقَاهَا  
هَنَاءَ الْقَلْبِ سَمَّاهَا أَبُوهَا حِينَ سَمَّاهَا  
فَمَا أَحْلَى الَّذِي تَدْعَى بِهِ عِنْدِي وَأَحْلَاهَا  
وَلَا أَهْوَى الْبَقَاءَ ، وَلَا أُحِبُّ الْعَيْشَ لَوْلَاهَا  
أَلَا قُولُوا لَهَا إِنِّي عَلَى الْحَالَيْنِ أَهْوَاهَا  
فَنِي قُرْبٍ وَفِي بَعْدٍ وَحَاشَا الْقَلْبَ يَنْسَاهَا  
سَأَلْتُ اللَّهَ بِحَبْنِي مَدَى عُثْرِي وَإِيَّاهَا  
لَأَنْظُرَهَا وَتَنْظُرَنِي مِثَالَ الْحُبِّ قَيْنَاهَا  
لِأُكْرِمَهَا وَأُخْدِمَهَا وَأَلْتِمَ دَائِمًا فَاهَا  
فَعِيدِي يَوْمَ أَلْقَاهَا وَفِيهِ أَشْكُرُ اللَّهَ !

فهذا مِثَالٌ من الشعر المطبوع الذي أرسله صاحبه على السجّية  
كما كان يصنع البحترى .

ومِثْلُه هذا الشعرُ لإيليا أبي ماضي في « الشباب والحُب » : —



بَكَيتَ الصَّبَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَذْهَبَ الصَّبَا

فِيَالَيْتَ شَعَرَى مَا تَقُولُ إِذَا وَلَّى ؟

تَوَهَّمْتَهُ يَبْنَى إِذَا أَنْتَ صُنْتَهُ

عَنِ الشَّفَةِ الْحَمَاءِ وَالْمَقَلَةِ الْكَحْلَا

وَحِلَّتِ الْهَوَى جَهْلًا ، فَلَمْ يَكُنِ الْهَدَى

أَخِيرًا سِوَى الْأَمْرِ الَّذِي خِلْتَهُ جَهْلًا

خَشِيتَ عَلَيْهِ أَنْ يُطَوِّحَهُ الْهَوَى

فَأَلْقَاكَ هَذَا الْخَوْفُ فِي الْهَوَاةِ الشَّقَلَى

أَتُنَجِّمُ مَاءَ النَّهْرِ عَنْ جَرِيَانِهِ

مَخَافَةَ أَنْ يَفْقَى ؟ إِذَنْ فَاشْرَبِ الْوَحْلَا !

سَيَبْلَى الصَّبَا مَهْمَا حَرِضْتَ عَلَى الصَّبَا

فَدَعُهُ يَذُوقُ الْحُبَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلَى

فَا دِيمَةً صَبَّتْ عَلَى الصَّخْرِ مَاءَهَا

فَا أَنْبَتَ زَهْرًا وَلَا أَطْلَعَتْ بَقْلًا

بَاضِعٍ مِنْ بَرْدِ الشَّبَابِ عَلَى أَمْرِي

إِذَا اسْتَطْعَمْتُهُ النَّفْسُ أَطْعَمَهَا الْعَذْلَا !

ومهما نزع أدباء المهجر في الأساليب ، وعلى الأخص في النظم ،  
 فقد كان ولا يزال للأسلوب الكلاسيكي طرافة عندهم لأنهم يتناولونه  
 تناولاً رقيقاً فيدعون فيه ، حتى جبران خليل جبران لم يفته الإبداع  
 في هذا الأسلوب . وليست هناك مشقة في التمييز بين الأسلوب  
 الكلاسيكي للمهجرى ونظيره في الأقطار العربية الأصيلة ، فالأول يُبنى  
 عادةً بسبكة الفكرة والعاطفة والخيال بالرغم من التزام القالب الاتباعي ،  
 حينما الثاني يُشغل بالصياغة والرنين الموسيقي . ولذلك نجد بين النقاد  
 التقليديين في الأقطار العربية مَنْ لا يتذوقون ذلك الشعر المهجرى ،  
 بل إنهم ليستصغرونه ويتذرون على حسابه ، وكل لذتهم في التشايب  
 والاستعارات المألوفة وموسيقى الرنين التي خدّرت أذهان العرب وجنت  
 على أحكامهم قروناً ، ولا تزال !

والأدب المهجرى مشغوفٌ بألوان من الشعر المنشور حتى  
 في الموضوعات المألوفة ، كما أنه مشغوفٌ بالنظم المجزوء النوع ، وهو  
 في كل هذا يجارى الأدب الأمريكى . ولكننا نجد في الشرق العربى  
 ذاته منذ نصف قرنٍ بل أكثر ماهدأ مبدعاً كخليل مطران يُنفى  
 بكل هذا ويذيقه من عندياته .

للأدب المهجرى طابعٌ خاصٌ من الحنين القوي إلى الوطن الأول

حتى ليتلَوْنَ به شعرُ حديثي العهد بالهجرة أنفسهم ، وكثيراً ما يَتَقَرَّنُ  
الحنينُ بالشَّخْطِ على مضطهديهم الذين أُلْجِأُوا إلى الهجرة وخصوصاً  
إذا كان أولئك الباغون من الدَّخْلَاءِ الأُجَانِبِ كما تَرَى في هذه القصيدة  
الموسومة « حنين » لأحد أولئك الشعراء المهجرين : —

وطنى ! رأيتك في الربيع ، فِطْرُهُ	حولي شَذَاكَ بِرَغْصَةٍ كَتَلْتَنِي
ورأيتُ أيامَ الشبابِ بلا بَلَا	غَمَّتْ ، وَتُوراً شاق غيرَ مَرْفٍ
ورأيتُ أيامَ اغترابي كُلِّهَا	نَبَضَ العليلِ وَخَفَقَ قَلْبُ المَوْجِفِ
تَنَبَّاطُ الأعْوَامِ وَهِيَ سَرِيعَةٌ	كخَوَاطِرِي وَسِرِيرَةٍ كَتَرَشْنِي
أَبَدًا أَحِنُّ إِلَيْكَ ، غَيْرَ مُؤَمِّلٍ	حَقًّا سِوَى هَذَا الحَنِينِ المُتَلَفِّ
والمجدُ أَن أَلْقَاكَ خُرًّا رَافِلًا	بِمَلَاكَ ، لَا أَرْجُوكَ يَوْمًا مُنْصِفِي
لَا يَرْتَجِي الأَحْرَارُ يَوْمًا مَغْنَمًا	غَيْرَ العَذَابِ وَغَيْرَ كَيْدِ المُرْجِفِ
فِي الرُّوْعِ لَا يَنْسَى الوَرَى إِذْءَاهُم	لَكُنْهُمْ يَنْسَوْنَ عِنْدَ التَّقْصِفِ
أَهْلًا بَعْطَرِكَ ! لَا أَبَالِي بَعْدَهُ	أَعْرِفْتَ مَا ضَحَّيْتُ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ
هُوَ رَجْعُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ تُعِيدُهُ	شِعْرًا عَلَى النَّسَمَاتِ جِدًّا مُؤَلَّفِ
قَالُوا : جُنِنْتَ ! أَنْتُمْ جُنِنْتُمْ وَقَدْ شَدَا	ذَاكَ الدَّخِيلُ مُضْطَّيْعِي وَمُعْنِي
لَا تَنْهَرُونِي إِنْ ضَحِكْتُ وَقَدْ بَكَيَ	حولي الربيعُ لِغُرْمَتِي وَتَعَفُّي !

لا تنهروني إن بكيتُ وموطني      نهبٌ لكلُّ معزٍ بدِّ متفلسفٍ !  
لا تنهروني إن شُغِلْتُ بِحُبِّهِ      رَغِمَ الجُناةِ على دُونِ تَأْسَفٍ !  
لا تنهروني إن حَلَمْتُ بكلِّ ما      عانيتُ فيه كأنه حَظُّ الوَفَى !  
لا تنهروني عند نجواي ، فكم      أهفو لاوصافٍ له لم تُوصَفِ !  
لا تنهروني حين خِلِمَ أني      أغنى بما حولي يَهْشُ وأكتفى !  
لا تنهروني إن يَلَجَّ بي المَوَى      فطَفَى كطُفَيانِ القُدُولِ المُلْحَفِ !  
لا تنهروني إن تَبَكَّلَ خاطري      فالكونُ من حولي قرينٌ تُشَوِّفِ !<sup>(١)</sup>  
لا تنهروني ! قد رَضِيتُ تَهْدِي      وكأني آثارُ قاعٍ صَفْصَفِ !  
لا تنهروني واسألوا عن لوعتي      أمي (الطبيعة) في أَسَى وتَلَطَّفِ !  
لا تنهروني ! رَبِّ صَخِرِ جَانِمِ      يروني إلى يَوْذٍ لو هو مُسْعِفِ !  
كذلك للأدب المهجري في أمريكا الشمالية طابعُ التحررِ  
الفكري إلى أبعد الحدود التي تُمليها الكرامة الإنسانية ، إلا حينما  
تتدخلُ المُنهجيةُ الدينيَّةُ أو العنصريةُ فتفسدُ ذلك الأدبَ وترُجِّهُ  
إلى الوراء أجيالاً ، وهذا الطرازُ الرجعيُّ من الأدب لا يَنْسِبُهُ النقادُ

إلى المهجر، وإنما يعدونه من تمايات الشرق العربي التي يجب نبذها .  
 وإذا استثنينا كتابات جبران وأشعاره الصوقية فالأدب المهجري  
 عامة أدب واقعي تلمسه قديماً في كتابات أمين الريحاني وميخائيل  
 نعيمة . ولم يمت من الأدب المهجري للجيل الماضي إلا الأدب التصوفي  
 الذي استمتع به الأمريكيون مترجماً كلون من ألوان التسلية الشعرية .  
 أما في الوقت الحاضر لجميع الصحف العربية المهجرية ، وكذلك حلقات  
 ( رابطة منيرفا ) الأدبية التي تُعقد شهرياً في جامعة كولومبيا بنيويورك ،  
 فيأخذ بالبحوث الحيوية ، كما أن الشعر المهجري في أمريكا الشمالية  
 — على قلة ما يُنشر منه — على القدر ، وبعض هذا الشعر تحتفي به  
 مجلات خارج الولايات المتحدة ( كالأديب ) في بيروت ، و ( المقتطف )  
 في القاهرة ، و ( المصبة ) في سان باولو . وفي طليعة شعراء الولايات المتحدة  
 الشيوخ أسعد رستم وإيليا أبو ماضي ونعمة الحاج . وفي طليعة زجالها  
 النابغين ملحم الحلوى . وفي مقدمة شعرائها الشباب سعيد جبرين  
 ويوسف الخال . وعلى رأس كتابها الأدباء الشيوخ ديب نعيم ليون .  
 ومن مشاهير أدبائها وكتابها الحضرمين فكتوريا طنوس وجورج  
 دبس وعيسى خليل صباغ وعبد الله حنا نقر وحبيب عيسى ونجلا  
 أبو اللمع معلوف وعبد الله برى وفيليب العقل وفريد غصن . ومن

أدبائها الشباب إبراهيم داغر وعبد الله صالح وعباس نصر الله  
وليندا كرم . ولتن مَنى جيل مجبران ورشيد أيوب وجميل بطرس  
الخلوه ونسيب عريضة ورزق حداد ونندرة حداد وأصراهم ، فما يزال  
مِشعلُ الأدب الجديد الحىَّ وهاجًا رائعا في أرض كولومبوس .

## شعر الذكاء والفكاهة في المنهج الأمريكي

كان صاحب الرسالة الإسلامية يقول إن الأرواح جنودٌ مجندةٌ ،  
وهي حقيقة أكثر ما تكون انطباقاً في الذهنيات والوجدانيات على  
تذوق الشعر .

قرأنا أخيراً لأديبٍ أُرْدُنِيِّ نابِهٍ هذا القول <sup>(١)</sup> : « ليس الشعرُ  
يا أخي موضوعاً يمكنني الحديثُ عنه بالشهولة التي تتحدثُ بها عن  
المواضيع الأخرى ، فهو كالجوع والعطش نُحِسُّ آثاره ولا نُحِثُّه .  
هو ليس ذاتاً وإنما هو معنى من تلك المعاني التي يعجز العقلُ عن إدراكِ  
كنهها أو سبر أغوارها . كثيراً ما تساءلتُ : ما هو الشعر ؟ فيحيني  
صوتٌ خفيٌّ بعيدٌ : ما الحياة ؟ ما كُنْهها ؟ ممَّ تتألفُ ؟ فيستولي  
على سُهومي ويأسُ وخيرةُ أَلَمِّ الشعرِ كلامٌ ؟ أَللهُ معنى ؟  
أَللهُ كلامٌ وراء الكلام ، أو معنى وراء المعنى ؟ لا أعلمُ ! وإنما أعلمُ  
أنَّ الشعرَ شيءٌ جميلٌ فيه خفقاتٌ وارتعاشاتٌ تنتقلُ من الشطور

---

(١) جريدة (الحوادث) الصادرة عن عمان بتاريخ التلاميذ من يونية سنة ١٩٥٢ ،  
مقال للأديب ماور عويس بعنوان « أمن السماء أم من الأرض ؟ »

إلى الصدور ، وتستولى على القارئ أو السامع ، فتَهزُّه وتفتَحُ  
أمام قلبه وخياله أبواباً كانت من قبل مُوصدةً على دُنيا من الجمالِ  
والحُبِّ والخير . ليس للشعر مقياسٌ وموازنٌ وقوانينٌ إلا إذا استطعنا  
أن نضعَ للحياة مقياسَ وموازنَ وقوانينَ ، وعندئذ تصبحُ الحياةُ أرقاماً  
وأشكالاً هندسيةً تبعثُ السَّأمَ في النفوسِ وتُثيرُ الحزنَ والكَآبةَ في  
القلوبِ . يقولون إنَّ الشعرَ هو عِرْقُ الرُّوحِ ، ومن الأرواحِ أرواحُ  
لا أرواحَ لها ، فيجئُ شعرُها مصنوعاً غيرَ مطبوعٍ ، مُرَكَّزاً غيرَ مترنحٍ  
صاحياً غيرَ ثملٍ . وهذا الشعرُ المصنوعُ المركَّزُ الغيرُ المترنحُ ، الصاحيُ الغيرُ  
الثَّملِ ، هو شِعْرُ العقلِ ، وهو في اعتقادِكَ وفي اعتقادِي شَيْءٌ غيرُ  
الشعرِ !

وهذا كلامٌ خياليٌّ جميلٌ ، هو شعرٌ منشورٌ ، ولكنه مُجانبٌ  
الحقيقةَ ، فقد لا يكون النظمُ المهلهلُ المترنحُ شعراً بأيِّ حالٍ ، حينما يكون  
النظمُ المركَّزُ زاخراً بعوالمِ من الفكرِ والخيالِ والعاطفةِ منتظمةً كاتظامِ  
الذرةِ وانسجامِ جُزَيْئاتِها . وَحَصْرُ ناقِدِنَا الفاضلِ تعريفَ الشعرِ  
فيما ذهبَ إليه هو تضيقُ فوقَ كلِّ تضيقٍ ، كما أنَّه في الوقتِ ذاتهِ  
إعلانٌ عن إفلاسِ الشعرِ العربيِّ المعاصرِ ، لو صحَّ ما ذهبَ إليه وعمُّ  
الأخذُ به . ولكنَّ لحسنِ الحظِّ ليس هذا هو الواقعُ ، وإنَّه ليمثِّلُ الرأْيَ



اليسارى المتطرف الداعى إلى التهلك على شعر الترويح والتفكير والمحافظة  
الجرّدة والتهويل والفتنزة *Fantasy* ، كما أنّ الرأى اليميني المتطرف  
يُبشّرُ بالاقصرار على الشعر الواقعى أو الحكيمى أو الوصفى المجرد ،  
فى حين أنّ مذهب الشمول وهو مذهب الوسط الذى ندين به ونطبّقه  
على أنفسنا قبل غيرنا ، وهو مذهب الإيمان بترقى الشعر فى كل شئ  
إذا وُجدَ مَنْ يَقْطَعُهُ وَيُوقِّعُهُ ، وهو مذهب لا يَحْدُ مِنْ ضُرُوبِ الشعرِ  
موضوعاً ولا أسلوباً ما دامت تنبضُ بالشعور ، ويريدُها قيمة أن  
تستوعب الفلسفة والتأمل لأنها بمنزلة التجاوب العميق مع الحياة .  
والحياة جِدٌّ وَهَزَلٌ وليست هَزَلًا وَمَرَحًا فحسبُ ، والفكرُ لونٌ من  
ألوانِ الشعور ، أو أنه ينضج عنه ، ومهما يكن من شئ فالعبرة فى  
تكيف الشعر ثم فى تقديره بالتناولِ الفنى ، وما فى هذا التعبير أى  
لفز أو إيهام — فالتناولُ الفنى قد يكون فى صورة السرد أو القصة  
أو الحلم الخ . ولكنه ليس على أى حال نظماً خَبَرِيّاً مجرداً .

وذلك الناقد الأديب الذى أشرنا إليه فى صدر هذا الحديث اكتفى  
بخطبة شعرية منبرية شطّ فيها وعجزاً عجزاً تاماً عن تطبيق حكم واحد  
من أحكامها بله جميع أحكامها ، بل إنه جارى أهل النظر والذعة  
الذهنية الذين يرقصون طرباً للشاب الظريف وكشاحم والبحترى

وأمثالهم ، ويحتقرون أبا تمام وابن الرومي والمتنبي وأضرابهم ، فلم يرَ في مجموعة شعرية تناولت تسعاً وستين قصيدةً ومقطوعةً بينها طائفةٌ غيرُ يسيرةٍ من مَوحياتِ المهجر ، سوى مطبخٍ « تدخله جائناً وتخرجُ منه جائناً . . . هو مطبخٌ غيرُ كريمٍ ، غيرُ موفقٍ » ولكن من علامات العافية المتجدة في الأدب العربي الحديث أن يرى أعلامٌ من الأدباء والشعراء في العالم العربي غيرَ هذا الرأي ، كما تجلّى في ( المقتطف ) و ( الكتاب ) ( والثقافة ) بمصر ، وفي ( الأديب ) و ( العرفان ) ببلبنان ، وفي ( المنهل ) بالبلاد السعودية ، وفي ( رسالة المغرب ) بالمغرب الأقصى ، وفي ( السائح ) و ( الهدى ) و ( الإصلاح ) في الولايات المتحدة الأمريكية ، بله ما كتبه المستشرقون الفطاحلُ وعلى رأسهم بروكلمان في مجلة ( الأدب الإسلامي ) (*Islamic Literature*) في باكستان وجُستاف فون جرينباوم في مجلة *The Bulletin* بآنجلترا ، فضلاً عن أكاديمية الشعراء الأمريكيين وجمعية الشعر بأمريكا وقد رأوا أماءهم ألواناً من الشعر الذي اقترنت في كثير منه العاطفةُ بالتأمل والفلسفة والأخيلة الجريئة . وما نقول هذا إلاّ دفاعاً عن الشعر ذاته فحسب ، عن حقوقه وعن كرامته ، من الشعر الذي ينهضُ بالناس ولا يَنحطُ بهم ومعهم ، ونسكتفي منه بمثلٍ واحد هو رثاء نسيب عريضة الذي هلَّ له إيليا

أبو ماضى وكبير يوم إلقائه بنزل تاورز في بروكلن في الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٦ ، ونافس ( الهدى ) بنشره في جريدته ( السَّير ) ، وإليك عبرات هذه المراثية العاطفية الفلسفية ، وهي في ذاتها ردُّ على مزاعم ناقدنا الأديب :

ما كان عُمرُكَ موهوباً لإنسان	ولا لإحساسٍ هذا العالم الفانى
ولا لأرضٍ وأوطانٍ حَنَنْتَ لَهَا	فامبريَّةٌ لم تُخَلِّقْ لأوطانٍ
والشاعريَّةُ لم تُقَصِّرْ منازلُهَا	على الحياة ، ولو من رَسْمِ فَنانٍ
بل كان عُمرُكَ آياتٍ هَتَفَتْ بِهَا	ولم تُفَسِّرْ بِانجيلٍ وقرآنٍ
ولم تُكَيِّفْ بأوصافٍ تُنَمِّقُهَا	ولم تُقَدِّرْ بمقياسٍ وميزانٍ
ولم تُخَفِّصْ من، حتى أَنتَ كُنْتَ بِهَا	في نَشْوَةٍ ، بين مَشْدُوهِ وحيرانٍ
مِلءَ الزَّمانِ تُناجينا وتُسَعِّدُنَا	وتَحْمِلُ النُّورَ ميراثاً لأزمانٍ
وتَبَعْتُ الوَحْيَ فينا ، وهو يَنْقُلُنَا	إلى عوالمٍ من حُسْنٍ وإحسانٍ
تُشَامُ بِالرُّوحِ أَطْيافاً وأخيَّةَ	عُلُوِّيَّةَ ، وجِناناً دونَ جَنانٍ
أَكُنَّ من صُنْعِكَ الْفَتَانِ أَمْ نَشَأَتْ	من مُعْجَزاتٍ مَمَّتْ عَنْ خَلْقِ إِنسانٍ ؟
لَعَلَّ في مُقْبِلِ الأَجْيَالِ عارفُهَا	إِنْ قَاتَ تَعْرِيفُهَا رُوحِي ووجداني !

يا شاعرَ الهَمَّاتِ السَّامِيَاتِ بنا      المُبْدِعَاتِ لَنَا قُدْرِيَّ الْخَانِ  
كَأَنَّهَا صَلَوَاتٌ لَا حُدُودَ لَهَا      يَفْقَى الْوُجُودَ بِهَا مِنْ قَلْبِكَ الْخَانِ  
جَمُّ التَّوَاضُّعِ ، جَمُّ الْعِلْمِ ، يُسْعِدُهُ      أَلَّا يُمَيِّزَ فِي مَدْحٍ وَشُكْرَانِ  
وَلَيْسَ يَبْخَسُ إِلَّا نَفْسَهُ أَدَبًا      كَانَ أَخْلَاقَهُ أَخْلَاقُ دِيَّانِ  
وَلَيْسَ يَعْرِفُ غَيْرَ الْحُبِّ مَنْقَبَةً      وَيَحْسَبُ الرَّهْمُونَ أَوْزَارَ شَيْطَانِ  
يَخْنُقُ عَلَى الشَّعْبِ فِي الْبَلَاوِ وَيُسْعِفُهُ      وَيَسْتَنِيرُ شُعُورَ الْغَافِلِ الْوَانِ  
وَيَرْفُضُ الضَّمِيمَ ، حَتَّى لَوْ آتَى مَلَكٌ      بِهِ ، وَكَانَ رِسَالَتِ لَأَدِيانِ  
يَا حَامِلَ الْعِبَاءِ فِي إِيقَاطِ أُمَّتِهِ      حُمِّلْتَ عِبَثَيْنِ بَلِ رُزْءَيْنِ فِي آنِ  
مَا بَرَّ آثَارَكَ الْغُرَاءَ مُبْتَدِعٌ      وَلَا بَنَى فَوْقَ مَا أَعْلَيْتَهُ بَانِ !

\*\*\*

تَرَكْتُ (مَصْرَ) وَقَلْبِي ذَائِبٌ حَرَفًا      وَجِئْتُ أُطْفِئُ لَوْعَاتِي وَنِيرَانِي  
وَكُنْتُ جَانِبْتُ أَطْيَافَ الرَّيِّعِ بِهَا      وَقُلْتُ حَسْبِي بِكُمْ جَنَّاتُ (لُبْنَانِ)  
وَبُذِّ وَفَذْتُ رَأَيْتُ الرَّبْعَ مَكْتَنَبًا      كَانَ أَحْزَانَهُ مِنْ لَوْنِ أَحْزَانِي  
فَلَا الْجَمَالَ قَرِيرٌ فِي مَبَاهِجِهِ      وَلَا النَّسِيبُ عَلَى رَوْضٍ وَأَفْنَانِ  
كَأَنَّ ( آذَارَ ) عَادَاهُ وَبَاعِدُهُ      وَمَا رَأَتْ عَيْنُهُ أَفْرَاحَ ( نِيسَانَ )  
مَا لِلْبَاشَةِ قَدْ مَاتَتْ بِنَضْرَتِهِ      وَلِلْأَزْهَارِ مَا هَشَّتْ لِبُسْتَانِي ؟

وَلِلْجَدَّاءِ قَدْ غُمَّتْ بِحَسْرَتِنَا      كَأَنَّمَا لَمْ تَكُنْ رَاحًا لِرِيحَانٍ ؟  
وَلِلنَّسِيمِ قَتِيلًا بَعْدَ عَاصِفَةٍ      وَالتَّحَابِ فِي رَعْدٍ وَإِجَانٍ ؟  
وَلِلطَّيُورِ الَّتِي كَانَتْ مُفَرَّدَةً      تُنْقَرُ الْعُشْبَ فِي يَأْسٍ وَإِذْعَانٍ ؟  
وَلِلنَّوَاطِحِ لَمْ يَشْمَخَنَّ فِي نَظَرِي      وَلِلرَّوَائِعِ قَدْ خَيَّنَ حُسْبَانِي ؟  
شَهِتَ بَعِينِي جَمِيعًا بَعْدَمَا حُرِمْتُ      لِقَاءَ مَنْ عِشْتُ أَهْوَاهُ وَيَهْوَانِي !

\*\*\*

جَعَلْتَ قَلْبَكَ قُرْبَانًا وَتَقْدِمَةً      لِلنَّاسِ ، وَالْآنَ مَا حُجِّي وَقُرْبَانِي ؟  
وَمَا رِثَاءَ مَنْ : آثَارُهُ نَعْمٌ      وَكُلُّ يَتِّ لَهْ كَنْزٌ لِدِيَوَانٍ ؟  
أَغْنَيْتَ عَنْ كُلِّ صَيْتٍ مِنْ عَوَالِمِنَا      وَعَنْ بُكَاءٍ وَتَمَجِيدٍ وَعِرْفَانٍ  
وَعِشْتَ فِينَا غَرِيبًا ، فَلْتَعُدْ أَلْقَا      لِمَوْطِنِ الْأَصْلِ أَوْ لِمَوْطِنِ الثَّانِي  
فَأَنْتَ وَحْدَكَ تَدْرِي الْآنَ مَا عَجَزَتْ      عَنْهُ مَوَاكِبُ أَذْهَانٍ وَأَذْهَانٍ  
وَحُسْبُنَا ذِكْرِيَّاتٌ مِنْكَ عَاطِرَةٌ      وَمُوحِيَّاتٌ بِأَنْقَامٍ وَأُلُوانٍ  
وَخَالَدَاتٌ مِنَ الْإِيمَانِ نَاصِعَةٌ      تُهْدِي الْعَزَاءَ وَتُسْجِي كُلَّ إِيْمَانٍ

\*\*\*

مَنْ مَاتَ مَوْتَ شَهِيدٍ لَمْ يَمُتْ أَبَدًا      وَقَدْ تُبَدِّلُ أَبْدَانُ أَبْدَانٍ

وَمَنْ تَكُنْ نَفْسُهُ شِعْراً وفلسفةً وَبَسْمَةً من أغاريدِ وأوزانِ  
يَأْبَى الإِسَارَ وَإِنْ وَاقَى بِجَامِلَةٍ من الشُّمُوسِ، وَيَأْبَى العَالَمَ الْغَايَ!  
ففي هذه القصيدة الكلاسيكية الأسلوب — التي نسوقها دفاعاً عن  
حرية الشعر — يتلاقى الوفاء، والحنينُ إلى الراحل، والرثاء الصادقُ،  
بالتأمل الفلسفيّ وبنزوعِ المغتربِ إلى وطنه الأول، وبالتصوُّف الحزين  
في الطبيعة. وهذه الآفاقُ الشعريةُ وسواها يجب أن تصانَ لكلِّ  
شاعرٍ لا أن تتعرضَ للتهجُّمِ والتجَنِّي عليها تحتَ أيِّ ستارٍ.

إِنَّ آفَاقَ الشَّعْرِ في رأينا لا حَدَّ لها، وهذا البُحْتَرِيُّ ذاته — معبودُ  
الجماهير التي تَطْلُبُ الشَّعْرَ المُبَسَّرَ — جاءنا في ديوان ( الحماسة ) الذي  
احتوى مختاراته من أشعار العرب بما أدخله في أربعة وسبعين ومائة  
من الأبوابِ الواسعةِ الآفاقِ فِكْراً وعاطفةً وخيالاً، لا المتعدِّدةِ  
الأغراضِ خُصْبُ. ولقد قيلَ: اختيارُ المرءِ قطعةً من عقله، والنظرُ  
في ( حماسة البحتري ) يدلُّنا على أنَّ تقصيره في نواحٍ متعدِّدةٍ من المجال  
الشعريِّ لم يَحُلْ دُونَ جَمْعِهِ ما فاتته نظائره، بل لعلَّه شجَّعه على ذلك  
الجمع من آثار نحو ستمائة شاعرٍ أكثرهم من الجاهليتين والحَضَرَمِينِ.

نفتلُ بعد هذا التحليل الذي لا بدَّ منه إلى كلمةٍ عن شعرِ الذكاء  
والفكاهة في المهجر باعتباره أحدَ الآفاقِ الشعريةِ، فنقولُ إِنَّ شعرَ الذكاء

والفكاهة *Poetry of Wit and Humor* قد تركز أغلبه في المهجر  
 الأمريكي في شاعرٍ واحدٍ ، بعكس الحال في مصر مثلاً التي اشتهر فيها  
 جملة شعراء في آنٍ واحد بهذا اللون من الشعر ، نذكر من بينهم :  
 محمد المهياوى وحسين شفيق المصرى . وهذا الشاعر الأصيل الملمهم  
 هو أسعد رستم شيخ شعراء أمريكا ، وعلى الرغم من علو سنه فقد أتحف  
 العالم العربى ولا يزال بروائع من فنه العبرى الذى يدل على ذكاء  
 خارق . وبعض هذا الشعر تسأله العاطفة فيرتفع بمستواه إذ يخاطب به  
 العقليين الواعى والباطن ، والبعض الآخر لا يعدو أدب التسلية الذى  
 لانفعه في مستوى الأول ، ومن القبيل الأول شعره الانسانى المعروف ،  
 وقد أذيع أغلبه من محطة (صوت أمريكا) ، ومن القبيل الثانى قصيدته  
 « أنا وأولادى » ولا نعرف شاعراً يضارعه في المعية المرححة هنا رغم  
 أقلاده غير عبد المسيح حداد . قال أسعد رستم :

لقد زحفت على بيتى جيوشٌ	من الفئران تنهيه انتهاياً
فماشت فيه أياماً كئيباً	على مائدة فيه لها وطاباً
فجئت بقطعة حسناء يوماً	لتعدها الفتوة والشباباً
ولكن ما سددت على باباً	بها حتى فتحت على باباً
فإن القطة الحسناء استقامت	جزاها الله في الأخرى الثواباً !

ويوم فيه خادمتي أَتَنِي      تقول: ألا أنظر العَجَبَ العُجَاباً !  
فَقِطَّمْنَا لَقْد وَلَدْتُ ، فَقَدَّمْ      لحضرتها المآكلَ والشراباً !  
وإني حولها شاهدتُ ما قَدْ      سألتُ الله أن يَهَبَ الصَّحَاباً  
فكان هناك أَجْرِيَّةٌ كَثَارُ      لها ما اسطَفَتْ عَدَاً أو حِسَاباً  
كَأَنَّ لِسَانَ حَالِ الكُلِّ منها      — وقد نَظَرْتُ إِلَى — يقول: بابا !  
لذلك هَرَبْتُ من بيتي ، أنادى      كفى قلبي بأولادى عذاباً !  
وَيُفْتَبَّرُ شعرُ التَّهْكِيمِ العاطفي *Poetry of Emotional Satire* ذا صلة  
بشعر الذكاء ، ولكنَّ العاطفةَ والمثاليةَ العاليةَ إذا حازها تَوْلَفَانِ جَنَاحَيْنِ  
له وتسموان به . ومن هذا الطراز قصيدة « الوُصُولِيَّة *Opportunism* »  
التي نقتطفها من ديوان ( الإنسان الجديد ) وهي للشاعر المهجريّ ذاته  
الذي رَئَى صديقَه الشاعر نَسِيبَ عريضة ، وقد حَزَّتْ في فُؤَادِهِ الفَجِيعَةُ  
إِثْرَ وفُودِهِ على أمريكا إذ كان متشوّقاً إلى لقائه فإذا به يُفاجَأُ بنعيه .  
ويُلاحظُ أَنَّ تلكَ المُرثِيَّةَ هي من الطراز الكلاسيكي في أسلوبها ، حينما  
هذه القصيدة التهكمية الرمزية هي من الشعر المُرْسَلِ الحُرِّ أي أن أسلوبها  
مَزْجٌ من النظم المُرْسَلِ *Blank Verse* ومن النظم الحر *Free Verse* ،  
وقد سَخِطَ فيها على الاتهازية المتفشية التي تجنى على الأحرار وتعبُد  
الطاغوت ثم تتلوّن بتلون الحكوماتِ والظروفِ لأنها فاجرة لا تلتبسُ



إلا الغنم المادى دون حياه ولها كل يوم سادة جدد ، وأما ضحاياها فهم دائماً الشرفاء الأحرار :

لا تَحْجَلِي يا فاجره ! \* لا تَحْجَلِي ! \* لا تَحْجَلِي ! \* وتمهلى ! \*  
 فَسَتَمَسْخِينِ جُهودَنَا \* وستجعلين يقيننا \* كُفراً وَيَنْعَم عندها \*  
 أهلك بالمستقبل \* لا تَحْجَلِي ! \* لا تَحْجَلِي ! \* كم من مراراتِ  
 شَرَبناها كشرِبِ الحَنْظَلِ \* وذووكِ حَرْبٍ لا تَلِينُ على الشَّرِيفِ  
 الأَمْثَلِ \* لا تَحْجَلِي ! \* لا تَحْجَلِي ! \* ساوى الحَصِيفُ لَدَى  
 ذا العقلِ البَهِيمِ \* كلُّ غريمٍ \* كلُّ يُسْبَحُ حامداً \* ما يستطيعُ به  
 الجَدَا (١) \* كيف اغتَدَى \* ويُعاقِبُ الأحرارُ \* عَمداً ، وإلا كالصَّغَارِ \*  
 إنْ عَذَّبُوا طَيرًا أبى فتمرّداً \* لا تَحْجَلِي ! \* لا تَحْجَلِي ! \*  
 هذى جِراحاتُ تَيْنٍ \* تبكى على مرِّ الزَّمنِ \* وتَظَلُّ شاهدَ بَنيكِ \*  
 فى أُمْسِكِ \* بل بين يوميكِ والغدِ \* يا عِزَّةَ الْمُعْتَدِي ! \*  
 لكنْ هَلُمِّي وَأُزْعِمِي أَنَّ الضَّحِيَّةَ أَنْتِ لا \* مَنْ ذُو قُوا مِنْكَ الأَذَى \*  
 وَتَبْخَرِي ، وتَحْطَرِي \* رمزَ البُطُولَةِ واعتَلِي \* ودعى ضحاياكِ على  
 الحالينِ فى بؤسٍ ويأسٍ وامرَحِي ! \* هنا افرحِي ، ولتَضْحَكِي ! فالْحِظْ

خَصَّ بِمَثَلِكِ \* وَالْفَبْنُ حُظُّ النَّاهِيْنَ \* مِنْ كُلِّ حُرٍّ لَا يَلِيْنَ \*  
لَا تَخْجَلِيْ ! \* لَا تَخْجَلِيْ !

وقد ذاعت هذه القصيدة بين أحرار العرب في أمريكا . ويعنينا منها فنياً في هذا المجال الأدبي النقدي اختلاف طرازها وموضوعها عن طراز القصيدة الأولى وموضوعها ، وإن كانت العاطفة القوية تطير بكتلتيهما . بيد أن ذلك الناقد الأديب لم يرَ في مثل هذا الشعر ما يُشبع نَهْمَ الروحيِّ أو لعله يؤثر شعر التسلية ، ولذلك نرى من اللامم أن نحتم هذا الحديث كما بدأناه بالإشارة إلى تلك الكلمة الروحانية التي يؤمن ، عليها علم النفس : الأرواحُ جنودٌ مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تنافر اختلف !

## لويس هاريس

LOUIS HARRIS

لم يُنَجَّب الأستاذان الرَّسَّامان ماكس وبر *Max Weber* و *Miller* مَنْ هو أَجْدَرُ بِالنِّسَابِ إِلَى نُبُوغِهِمَا وَمَنْ هُوَ أَقْدَرُ مَنْ تَمَثِيل طِرَازِ جَدِيدٍ رَزِينٍ لِلْفَنِّ الْأَمْرِيكِيِّ مِنَ الرَّسَّامِ الْمُتَصَوِّفِ لُويس هَارِسِ الذِي عُرِضَتْ فِي نِيُويُورْكَ أَخيراً طَائِفَةٌ مِنْ لُوحَاتِهِ الْجَمِيلَةِ .  
وَمَعَ شُهْرَةٍ هَذَا الْفَنَّانِ فِي أَمْرِيكََا قَدْ تَحْتَاجُ الْبِلَادُ الْعَرَبِيَّةُ إِلَى التَّعْرِيفِ بِهِ ، كَمَا تَحْتَاجُ أَمْرِيكََا إِلَى التَّعْرِيفِ بِالْأَخْوَيْنِ وَاغْلِي أَوْ بِمَحْمُودِ سَعِيدٍ مِثْلاً مِنَ الْفَنَّانِينَ الشَّرْقِيِّينَ الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ فَرَنْسَا خَاصَّةً وَاعْتَزَّتْ مَتَّاحِفُ مِصْرَ بِلُوحَاتِهِمْ وَدَارُ الْأُورَاقِ الْمَلِكِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ بِتَقْوِشِهِمْ وَرَسُومِهِمْ لِمَنَاطِرِهَا وَسَائِرِهَا .

وَنَحْنُ فِيمَا نَعْرِضُهُ مِنَ الْفَنِّ الْأَمْرِيكِيِّ الْمُعَاصِرِ نَجْتَهِدُ فِي الْإِتِّصَالِ الْمُبَاشِرِ بِالْفَنَّانِينَ أَنْفُسِهِمْ وَاسْتِجْلَاءِ شَخْصِيَّاتِهِمْ ، ثُمَّ نَعْنِي بِدِرَاسَةِ آثَارِهِمْ دِرَاسَةً مُسْتَقَلَّةً أَصِيلَةً وَإِذَاعَتِهَا فِي أَحَادِيثِنَا .

يُنَهِزُ الْآنَ لُويس هَارِسُ الثَّانِيَةَ وَالْأَرْبَعِينَ ، قَدْ وُلِدَ فِي مَدِينَةِ سَانتِ لُويس *St. Louis* بِلَايَةِ مِيزُورِي *Missouri* سَنَةِ ١٩٠٨ ، وَأَمَضَى

كلّ حياته العملية في العمل الفني أو تدريس الرسم . ومن ينظر إلى لويس هارّس الهادى الوديع يرى الفنان المتصوّف القريرَ ماثلاً أمامه كيائناً وصوّناً وتعبيراً ، ولولم يكن رسّاماً لكان شاعراً من طراز بليك Blake مثلاً ، وإن كان في تصوّفه الفنّ أقرب إلى رُوح الميثولوجيا الإغريقية .

وَمِنْ تَأْمَلِنَا التَّعَدَّى فِي آثَارِ هَذَا النَّابِغَةِ يَتَجَلَّى لَنَا أَنَّ لَفَنَهُ مَظْهَرَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ : —

(١) أولهما : وَخَى زيارته الرّيفَ حيث يَسْتَوْعِبُ جماله ، وَيَسْتَحْمُ بأضوائه ، وَيَتَمَلُّ بعطوره ، وحيث يَرْمِمُ مُحَلِّياً مثل لوحته البديعة (منظر عام مع الأشجار Landscape With Trees) التي تَبْدُو فيها الطّبيعةُ فَرِحَةً زاهيةً راقصةً في خِفَّةٍ تُشْعِرُ بها طَريقَتُهُ فيما يَصْحُحُ أَنْ نَنَعْتَهُ بِتَنْقِيطِ الأصباغِ « Pointalism » ، ومثل لوحته الفريدِ (الصخرة المضطجعة Reclining Rock) التي تَبْدُو فيها صخرة ممتدةٌ وَسَطَ الأعشاب والأزهار كأنها غانية متكنة على ذلك البساط السُّنْدُسِيّ . وفي هذه اللوحة أيضاً تبدو طريقةُ « التَّنْقِيطِ » التي يُتَقَنُّها في نفث الأصباغ على لوحته زاهيةً فَرِحَةً ، نضرةً ، معبرةً عن فرحة الطبيعة ذاتها وعن مَرَحِها وتكادُ تُشْعِرُ بهففة نسيما وبتموّج أضوائها وباشتباك

أصباغها اشتباك الحياة والحركة ، ومع ذلك تبدو في اللوحة أيضاً قطع متساندة « لا تنقيط » فيها كأنها مناطق الشكون والعبادة الهادئة .  
( ٢ ) وأما المظهر الثاني لقائه فستمد من أحلامه حينما ينطوى

على نفسه . مثال ذلك لوحته المسماة ( فتاة — Girl ) التي يريك فيها جمال التأمل والسكينة والطمانينة التامة ، وهو ما يتجلى في سُكون ذلك القوام الجميل الرشيق ومن خلفه الأشجار الرشيقة المستطيلة . أما الألوان المستعملة فغير جبهة ، ومع ذلك يبدو ذلك الجسم العارى كأن وراءه أضواء تسلل إليه من خلف الأشجار فتصدمه . وكلما ازداد المرء تأملاً في لوحة كهذه ازداد استيحاؤه لها ، وزادت معانيها في نظره ، أى أنها من ذلك الطراز الذى يفتنك تدريجياً وينمو ألقه الفنى بطول الصُحبة حتى يستحوذ في النهاية على إعجابك الكامل . ولا ريب أن هذه اللوحة من أروع لوحات هاريس ، وهى صوة ناطقة للتصوف الفنى المجرد عن الشهوة الحسية ، وهى مرآة السلام الهنىء الخالد الذى نحن إليه وننشده . ومثال آخر لهذا القسم من صوره اللوحة المسماة ( أم وطفل — Mother & Child ) ، حيث نرى الطفل القانع الوديع فى ذراعى أمه المطمئنة ، وحيث نرى السلام والرضى مرفقين عليهما ومبتسمين للناظر المتأصل .

ولابد لنا قبل ختام هذا الحديث من الإشارة إلى ثلاثة أمور في عمل

لويس هارس :

أولها — طريقته في استعمال الأصباغ إجمالاً .

وثانيها — آثاره القديمة .

وثالثها — آثاره المثلثة ذروة فنه .

فأما عن طريقته في استعمال الأصباغ إجمالاً فقوامها استعمال طبقات

دقيقة منها بعضها فوق بعض على مدى طريقه بحيث إن بعض لوحاته قد استغرق عملها نحو خمس سنوات .

وأما عن آثاره القديمة فواضح منها أنه كان مشغولاً أكثر

بالتفاصيل سواء في التشرح أو في الأصباغ والأضواء والظلال ،  
ومن أمثلتها لوحته ( صورة فتاة — *Portrait of a Girl* ) إذ ترى  
جالسة في كرسيها مستغرقة في التأمل ، ولوحته ( الكنيسة الصغيرة —  
*The Little Church* ) التي تبدو عليها كذلك الوداعة والسكينة ،  
وقد رسمها منذ ثمانى عشرة سنة .

وأما عن آثاره المثلثة ذروة فنه حتى الآن فهي أحدث آثاره ،

ومن أبرزها لوحته الكبيرة ( المصبيتان *The Maidens* ) التي يتجلى  
فيها أيضاً إحساسه الناضج نحو الأنوثة ، وهو إحساس أفلاطوني يمت

بصلة إلى الروح الكلاسيكي اليوناني . والأصباغ التي تتجلى في هذين  
الجسمين العاريين وفيما حولهما يجلسهما هي أصباغ حُلوة رقيقة تتم عن  
الثمار والأزهار — وهي ثروة متحفظة لا تتدفق على الناظر إليها فتغمره ،  
ومثلها لوحته ( طفل بين بقر *Child Amongst Cows* ) حيث نرى  
طفلاً عارياً جالساً في ظل شجرة عريضة وحوله بعض البقر ، وقد  
بدأ لون من التعاطف والتجاوب والصدقة ما بين البقر والطفل ، وحتى  
الشجرة ذاتها تبدو كأنها على ودا له وللبقر ! أما الوقت فوق الفسقى  
وقد هدأ وعكس عليها أصباغه المادنة ، وخلق منها صورة دينية  
في روحها المتشفقة .

\*\*\*

ومهما يكن من شيء فنحننا أن أكثر أعمال لويس هارس جاذبية  
ما استلهمه في حضن الطبيعة وقد نثرت عليه ألوانها البهجة الزاهية ،  
وكان التأمل فيها مغازلة لا يشبع منها ، وقرين لسريناد تشايكوفسكي  
الوترى ( *Serenade in C Major Tschalkowsky* ) الذي لا تملى  
حلاوة تكراره . وأما فنائنا ذاته فيلوح أنه صار أكثر شغفاً بأحلامه  
الرمزية المتصوفة .

# الموسيقى الأمريكية

## العهد الأول

إذا تركنا موسيقى الهنود والزُنوج الشعبية جانباً ، فإنَّ أولى ما تواجهنا في العهد الأول للاستعمار الأبيض لأمريكا هي الموسيقى الدينية ، بل على الأصح المزامير ثم التراتيل أيضاً ؛ مجردة عن صُحبة العزف .

وقبل وفودِ « الحجاج » *Pilgrims* إلى بليموث لا ريب أنَّ مستعمرين آخرين ، سواء أكانوا مؤقتين كالهيو جينيتين على ساحل كارولينا ، أو دائمين كزراعي فرجينيا ، كانت لهم أهاليهم ( كيفما كانت ألوانها ) ولكنها لم تُدَوَّنْ تاريخياً ولا فنياً ، فلا يمكنُ الرجوعُ إليها والاستشهادُ بها ، بعكس أولئك « الحجاج » الذين وفَدُوا على نيو انجلاند في نهاية العِقدِ الثاني من القرن السابع عشر ، فثمة مستنداتٌ ووثائق من عصرهم تدل على ألحانهم وطرائق غنائهم . وهكذا بالوسع أن تتبَّعَ تطوُّرَ الموسيقى الأمريكية منذ نشأتها بين هؤلاء المستعمرين اعتماداً على وجود هذه المستنداتِ الأصلية .

وفَدَ أولئك الحجاجُ من هولاندا — أول ما وفدوا — على الباخرة « زهرة أيار *Mayflower* » ومعههم ( كتابُ المزامير ) من تأليف



هنرى اينزورث *Henry Ainsworth* المدودُ موسيقياً فى عصره أفضل من أى كتاب انجليزى من طرازه . كان أولئك الحجاجُ مشغوفين بالألحان ، وبها كما بدموعهم ودَّعوا وطنهم الأول ، فى أصواتِ حنونةٍ عذبةٍ ، وهكذا وصف حالمُ الراويةُ الأديبُ « إدوارد ونزلو :

« *Edward Winslow*

كذلك صَنَعَت جماعة « الطُهرين » *Puritans* حينما نزلوا بمستعمرتهم فى خليج ماساشوستس جالبين معهم كتابَ المزامير الذى ألَّفه البروتستنتيون المنفيون فى جينيف ، وقد حَوَى من الشعر الدينىُّ الجميل ما حَوَى ، مثل هذه الأبيات :

كُلُّ مَنْ فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ يَشْدُو بِلِسَانٍ حُلُوٍ لِرَبِّ كَرِيمٍ  
وإليه تُزَفُّ أُنْهَى جُهُودٍ فى نعيمٍ ، وفى سُرُورٍ عَمِيمٍ  
فهلِّلوا إليه بالذكر والشكر ، وذوقوا ألوانَ هذا النِّعَمِ !

ولكنَّ التعليمَ الراجحَ بين « الطُهرين » فى نيو إنجلاند كان مع ذلك شديدَ المحافظة يدعو إلى الاختصار على ترنيم مقتطفات من الكتاب المقدس . ثم تطوَّر التفكيرُ فإذا بطائفةٍ من الشعراء يُرَضَى عن جهودها فى ترجمةٍ نظميةٍ للمزامير ، لم تَحُلْ من الجمالِ وإن اتَّسَمَتْ بالخشونة ، وكانت منظوماتُهم هذه تُرَتَّل ، ولكنَّ موسيقاها لم تدوِّنْ لنا ، ويبلغ

عددها نحو خمسين لحناً . ولكن حيناً اقترح أن يصحب الترتيم عزف الموسيقى لى الاقتراح معارضة شديدة ، بل إن مجرد تهذيب الترانيم قوبل بالاعتراض ولكن الإصلاح تغلب في النهاية ، وفي نهاية العقد الثانى من القرن الثامن عشر أُسِّسَت أولى المدارس لتعليم الفناء بمدينة بوسطن . ولا بد في هذه المناسبة من التنويه بالشاعر الدينى واطلس وبكتابه ( ترانيم ومزامير ) *Watto's Hymns and Psalms* ، وبالموسيقار المؤلف تانسور *Tans'ur* الذى برع في صوغ المزامير ، ومن أشهر ماحبيه إلى الجماهير أنشودة *Crofts Hanover and St. Anne* ثم لحنه الذائع في زمنه « مزمور سانت مارتن *St. Martin's* » .

لم يكن الأرغنُ معروفاً في المستعمرات الأمريكية في القرن السابع عشر ، وحتى في إنجلترا لم يكن الأرغن ليوجد إلا في الكاتدرائيات وكنائس الكليات والأبرشيات الكبيرة . وأول أرغن صُنع محلياً في بوسطن كان من صُنع إدوارد بلومفيلد الذى افتتده الفن في شبابه سنة ١٧٤٦ م غير متجاوز الثالثة والعشرين ولم يكمله قبل وفاته ، ولكنه حاز إعجاب مواطنيه . أما أول أرغن عرفته المستعمرة فقد استورده توماس بَتْل *Thomas Battle* من أهالى مدينة بوسطن مبكراً في سنة ١٧١١ ، ثم أوصى به بعد وفاته لكنيسة *Brattle*

*Square* إلا فلكنيسة *King's Chapel* إذا ما رفضته الأولى ، وقد تحقق افتراضه فكانت كنيسة *King's Chapel* الظافرة به وأولى الكنائس هنا التي زُوِّدَتْ بأرغنٍ بصفةٍ دائمةٍ . ولم يتكاثر عدد هذه الآلات الموسيقية في الكنائس إلاَّ بِبطءٍ نظراً لارتفاع أثمانها ولقلة الفنانين ولبعضِ الرُّوحِ الرَّجعيةِ .

ووسطَ خُسونةِ الاستعمارِ الأوَّلِ لم تكن من المنتظرةِ العنايةُ بالفنونِ الجميلةِ ، وكان الاهتمامُ بالغناءِ والرقصِ للتسليةِ لا وجودَ لها . وأوَّلُ معلِّمٍ للرقصِ أعلنَ عن نفسه كان صموئيل سيوال *Samuel Sewall* في سنة ١٦٨٥ ، ولكنه لقي مقاومةً عنيفةً ، ولم يُسمَحْ بمدارسِ الرقصِ إلاَّ في أوائل القرن الثامن عشر ، ثم تدرَّجَ الاهتمامُ إلى الحفلات الموسيقية في نهاية العقد الثالث من ذلك القرن ، وأخذتُ بوسطن خاصة تعطف على الحفلات التمثيلية وتشجعها ، ونشأت بها قاعةٌ خاصة بالموسيقى ، ونما هذا الشعورُ في نيويورك بلندن حينما اقترب حدوثُ الثورة .

بدأنا هذا الحديثَ بالإشارةِ إلى الترانيمِ والألحانِ الدينيَّةِ ، ونختتمُه بالإشارةِ إلى ظاهرةٍ صَحَبَتْ القرنَ السابعَ عشرَ حينما كانت جميعُ الآلاتِ والأدواتِ الموسيقيةِ قليلةً في نيويورك بلندن ، فقد كانت الدعوةُ

إلى العبادة في الكنائس تُذاع بأصوات الطبول أو الأبواق بدل  
الأجراس ، بينما كان المعزى يضجّ من وقع أصواتها في اللاذقية قبل  
ذلك بستّة قرون ! ولكنها أخيراً وَجَدَتْ سبيلها إلى مآبِدِ  
نيوإنجلند ، فابتهج بها المصلون أيّما ابتهاج .

وهكذا غنمت نيوإنجلند ثم غنمت أمريكا عامة الفتح الأول  
في موسيقاها سواء في حياتها المدنية أم في حياتها الدينية واستعدّت  
للسير في موكب النهضة الفنيّة .

## الشاعرة ماري بَكْستَن

### • MY PRIZED POSSESSION •

كُنَّا نَقْرَأ القصيدة الوجدانية المعنونة « Suzy Q » للشاعرة  
الأمريكية الموهوبة ماري بَكْستَن Mary T. Buxton التي تناجي  
فيها دُميتها الأثيرة لسيها قائلة : —

*How I wish that I could be,  
Like this inanimate object, happy & free,  
Who has no worries & no care  
Where only life is to sit & stare.  
She has'nt heartache nor any pain  
And as time rolls on will never wane.*

*Yet she sits day after day  
In the same position, come what may,  
Wrapped in her blanket and sun-suit dress,  
Never knowing trouble, or other distress.  
Not a word does she speak, not a thing does she see,  
Yet she brings comfort and joy to me.*

*For when I am lonely & when I am blue,  
I can talk to her as I can to you.  
She listens to my problems, troubles & all,  
Whether they be big ones, medium or small.  
She sees me gay & sees me sad,  
But when I am happy, I know she's glad!*

*I abuse her at times, as in life you do  
Mistreat unconsciously things meaning most to you,*

*Yet she'll never argue or fight back!  
This makes me think & stop in my track  
If the world was a doll house & human as its dolls,  
Would there still be ugliness & wars with its scars ?  
Do the dolls that we have live a world of their own  
In which no adult mind is able to prone?  
Can they see ? Are they able to hear,  
Even though on the outside this does not appear ?*

*If I were to be made for the second time,  
I wish to be a doll made very fine,  
For when I die -- since it is written I will --  
The doll shall remain even quiet and still,  
Since the day I got her she knew from the start  
I would grow old, but she would be smart.  
For time was slowly catching up with me,  
Yet could never touch her -- you see !*

*After I die & my breath is the last,  
It is « Suzy Q » who had the last laugh,  
For now she'll sit from day to day  
Waiting for another human to come her way !*

كُنَّا نَسْتَمْتِعُ بِتِلَاوَةِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْإِنْسَانِيَةِ الْعَاطِفِيَةِ الْمُسْتَفْرِقَةِ  
مَعَ ذَلِكَ فِي شَرَحِ شَوَاعِرِهَا الشَّخْصِيَّةِ ، إِذْ تَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مِثْلَ  
هَذِهِ الْأُمِّيَّةِ الَّتِي لَا حَيَاةَ لَهَا ، مُسْتَمْتِعَةً بِالسَّعَادَةِ وَالْحُرِّيَّةِ ، وَلَيْسَ لَدَيْهَا  
مَا يُبْقِلُهَا وَيَسْغُلُهَا ، بَلْ تَنْحَصِرُ حَيَاتُهَا فِي الْجُلُوسِ وَالتَّحْدِيقِ ، دُونَ  
حُرْقَةِ قَلْبٍ أَوْ أَلَمٍ ، وَهِيَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صَمَتِهَا وَكَفِّ بَصَرِهَا تَجْلِبُ  
لَهَا الْقِرَاءَ وَالْحُبُورَ ، إِذْ أَنَّهَا حِينَمَا تَكُونُ فِي غُرَّتِهَا كَثِيرَةٌ تَسْتَطِيعُ أَنْ

تخاطبَ هذه العمية فستسمعُ الدُّمِيَّةُ إلى مشاكلها ومتاعبها — كبيرة كانت أم صغيرة — وترى صاحبَتها في سرورٍ تارةً وفي حُزنٍ حيناً ، ولكنها حينما تكونُ مسرورةً تعلمُ أن دُمِيَّتَها تُسَرُّ أيضاً ! وتُعرِّفُ شاعرَتنا بأنها تُسَىءُ مُعامِلَةُ دُمِيَّتِها أحياناً ، كما يحدثُ في الحياة أن تُسَىءَ استعمالُ الأشياءِ التي تهتكُ أكثرَ من سواها ، ولكن دُمِيَّتَها لا تتشاجرُ معها ! وتتساءلُ الشاعرةُ بعد ذلك : أكان يوجدُ في العالمِ قُبْحٌ وخُرُوبٌ لو أنه كانَ بَيْنَنا للدُّمَى ؟ وهل تحيا الدُّمَى التي نحوزُها حياةً خاصةً بها ؟ وهل تستطيعُ أن تَرى وتسمعَ ولو لم يدلَّ ظاهرها على ذلك ؟ وتمتَّ لو أُعيدَ خَلْقُها ثانيةً أن تكونَ دُمِيَّةً جميلةً ، حتى إذا ما توفيتِ الشاعرةُ — والموتُ لا بدَّ منه — بقيتْ دُمِيَّتُها هادئةً ساكنةً ، إذ أنها كانت تعلمُ منذ أن أُخْرِزَتْ أنها ستُسنُّ في حينٍ أن الدُّمِيَّةَ لن تُسنَّ ، وحينئذٍ ستكونُ لِدُمِيَّتِها الضَّحْكةُ الأخيرةُ وهي تنتظرُ إنساناً آخرَ يُغْنِي بها !

هذه القصيدةُ مثالٌ للشعرِ الأمريكيِّ القَتِيِّ الحديثِ في صورةٍ من صُورِهِ — هي صورةُ البساطةِ أو السَّذَاجَةِ المُقترَنةِ بالعُمقِ في الوقتِ ذاته . ليس في هذا الشعرِ كثيرٌ من مذهبِ بول فاليري الذي يتحدث عن كَونِ الفكرِ في الأبياتِ كما تكنُ القيمةُ الغذائيةُ في الثمارِ التي لا ينفى المرءُ منها سوى مذاقها ؛ وليست فيه الإستعاراتُ الغريبةُ الجامحةُ ، وليس

فيه شيء من الشريالية الغامضة ولا من الرمزية العجيبة ، وليس في تضاعيفه شيء جِدُّ مُثِيرٍ ، ولكنه مع ذلك مثالٌ بدیعٌ للشعر الوجدانيُّ التأملی المطبوع ، الذى تتألف فيه الروحُ الإنسانيةُ ، وتترقُّ فيه العذوبةُ وبراءةُ الجمال .

وقد عُینا بذکرِ هذه القصيدةِ من بين أشعار ماری بکستن كنموذجٍ للشعرِ الأمريكيِّ الحديثِ الذى یستعزُّ بالعاطفةِ وجمالِ التعبيرِ عنها مع اقترانِ الشعورِ الشخصیِّ بالشعورِ الانسانیِّ فى وَحدةٍ مُشرقةٍ جذابةٍ قبل أن یُشغلَ أو یستعزَّ بأحاجٍ من الاستعاراتِ المركبةِ والتشابهِ الشاذِّ المُغرِبةِ التى يتوهم بعضُ النقادِ أنها وحدها أصبحت مقياسَ الشعرِ الفنى الرفیع .

ولم یعبَ هذه القصيدةَ البساطةَ المتناهيةَ فى أسلوبها المتحرِّرِ كلَّ التحرُّرِ إلاَّ من موسیقی النظمِ والقوافى — كأنما هو من لغة الأطفالِ حلاوةً وسلاسةً ، بل على العکسِ كان هذا الأسلوبُ عُنصرًا من عناصرِ جمالِ المطبوعِ . كذلك لم یعینها تفاهةُ الموضوعِ (فى رأى بعضِ النقادِ) ، فانَّ قُدرةَ هذه الشاعرةِ الموهوبةِ خَلَقَتْ من موضوعٍ دُمِیةٍ تأملاتٍ وجدانيةٍ إنسانيةٍ ساميةٍ ، وأثبتتْ أن الشاعريةَ الأصليةَ تتجلى حتى فى أُنْفِهِ المواضيعِ وفى أبسطِ الأساليبِ ، وتبدعُ مما یُظنُّ حقیراً نفائسَ



خالدة للفن ، وأنه من الشَّطَطِ أن يُحاولَ أيُّ قَدَرٍ حَضَرَ النبوغَ وتحديدَ تأملاته في حينِ أنَّ الحياةَ تنظِّمُ كلَّ الوجودِ وفي جميعِ دقائقه يتغلغلُ الشُّمُورُ والفنُّ ، وإنْ لم يكنْ بطلاقةِ كلِّ شاعرٍ أو فنانٍ أن يرفعَ الحجابَ المسدولَ ما بين المظاهرِ ولُبِّ الوجودِ في كبرياته وصغرياته السادية .  
والشاعرُ النابغةُ الذي يستطيعُ ذلكَ في كثيرٍ من الأحيانِ تستحقُّ مواهبه الإكبارَ والإعزازَ ، لا النقدَ والمؤاخذهَ ، لأنه يكونُ بمثابةِ نبيٍّ من أنبياءِ الفنِّ يُوحى إليه كيفما كانت المناسبةُ والموضوعُ والعاطفةُ .

# مَنْ الْهِنُ الْأَمْرِيكِي

## التَّصْوِيرُ الْأَمَوْضُوعِيُّ

### NON-OBJECTIVE PAINTING

الْفَرْسِ سَلِيْمَانُ بْنُ حَسَّانِ الصَّنِيعِيُّ فِي وَصْفِ شِمْعَةٍ قَالُ :  
وَبَجْدَوْلَةٍ مِثْلَ صَدْرِ الْقَنَا      تَعَرَّتْ وَبَاطِنُهَا مُسَكَّنَسِي  
لَهَا مَقْلَةٌ هِيَ رُوحٌ لَهَا      وَتَاجٌ عَلَى الرَّاسِ كَالْبُرْثَسِي  
إِذَا رَقَّتْ<sup>(١)</sup> لِنَعَاسٍ عَرَا      وَقُطِّتْ مِنْ الرَّاسِ لَمْ تَنْقَسِي  
وَإِنْ غَازَلْتَهَا الصَّبَا حَرَّكَتْ      لِسَانًا مِنْ الذَّهَبِ الْأَمَلَسِي  
إِلَى آخِرِ قَصِيدَتِهِ الظَّرِيفَةِ . فَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَمَا يَمِثِّلُهَا بِأَفْعَاتٍ  
أُخْرَى تَمَّا يُنْظَمُ عَادَةً لَتَسْلِيَةِ الْأَطْفَالِ ، هِيَ مَا يَخْضُرُ الْأَدِيبَ عَادَةً  
عِنْدَمَا يَنْظُرُ إِلَى لَوْحَاتِ التَّصْوِيرِ الْأَمَوْضُوعِيِّ *Non-Objective*  
*Paintings* ، لِأَنَّهَا كَثِيرًا مَا تَبْدُو أَمَامَهُ أَلْغَازًا غَيْرَ مَفْهُومَةٍ ، لَا تَنْظُمُهَا  
غَيْرُ مُوسِيقَى النِّظْمِ الَّتِي تَخْلُقُ الْإِنْجَامَ فِيهَا وَتَشْفُلُ فَرَاغَ الشُّطُورِ .  
وَمَا هَذَا التَّصْوِيرُ الْأَمَوْضُوعِيُّ ؟ هُوَ تَصْوِيرٌ مَا دَتُهُ مِنَ الْأَضْوَاءِ  
وَالظَّلَالِ وَالْأَصْبَاحِ ، وَمِنْ الْخُطُوطِ وَالْدَوَائِرِ ، وَقَدْ تَجَسَّمْ وَلَكِنَّهَا لَا تَتَلَّ

على أى موضوع ، بل كل قيمتها فى أنها مستمدة من الحسن الروحى ،  
فهى تعتمد على الإدراك الباطنى ، وقيمتها محصورة فيما تنظمه العين  
من عناصر الجمال الشائع خلال اللوحة وفيما توحى من الانطلاق الروحى ،  
دون أن تمت فى أشكالها الظاهرية إلى موضوع معين ، فهى بنت الوحي  
وأثرها إيمانيّ محض ومن الموسيقى ما هو لا موضوعي ، ولكننا  
لا نعرف شعراً لا موضوعياً ، ولا تصوّر إمكان نظم خالصاً .

وبليهي أن التصوّر اللاموضوعي يترتب على حاسة البصر ،  
وهى بلا ريب أسمى منزلة من حاسة السمع لأنها أكثر استقلالاً وأقدر  
على تكييف رغباتها والدفاع عن شخصيتها . ولوحات التصوير أخلد  
من الألحان التى تضع بمجرّد عزفها ما لم تدون وتسجل ، وطبعت  
اللوحات أعمّ للمتعة البشرية . وهذا لا ينبئ جلال الموسيقى الرائعة  
المسطورة المسورة وأثرها العظيم فى التماسى بالنفوس . ولكن الأذن  
لا تُعيف النفس كما تُعفها العين سواء تملياً أو قراءة . ومن ثمّة  
كان فى طاقة الآلاف بل الملايين الاستمتاع المتكرر بالفنون الجميلة  
المنظورة ( ومن بينها الشعر المدون ) من أهون سبيل .

ودائع الشعر الموضوعي *Objective Art* من مدرسيّة وغير  
مدرسيّة أشهر من أن تُعرف ، وأعظمها — بلا ريب — ما كانت

له سماتُ الابتداء وروحُه ، فاخلقُ أى الابتكارُ — لا المحاكاةُ —  
هو الفن .

والفَنُّ اللّاموضوعيُّ في تعريفِ هِلّا ريبّي *Hilla Rebay* (الفنانة  
الأمريكية الشهيرة وإحدى رائديه ، بل في طبيعتهم بأمریکا) <sup>(١)</sup> هو  
الإحساسُ الكَوْنِيُّ الذي تجلّهُ العبقريةُ ، وقواعدهُ هي قواعدُ الإيقاع  
السّرمدى الذي يُدرِكهُ المرءُ دونَ أن يراه ، فهو البديهةُ التي تُصبح  
منظورةً ، وهو تعبيرُ الشُّموثِ حتىّ لأنّه بمثابة البيانِ التصويريِّ لإحساسِ  
التصوُّفِ الكونِيِّ . إنه يعتمدُ — كما أُلْعِنُ قَبْلًا — على أدواتٍ بسيطةٍ  
من خطوطٍ ودوائرٍ وأصباغٍ وأضواءٍ وظلالٍ ، ولكنها مبثوثةٌ في  
انسجامٍ بفرَاغِ اللّوحةِ بحيثُ يَخْلُقُ مجموعُها في نفسِ الرائي الإحساسَ  
بالجمالِ الذي استولى على رُوحِ الفنّانِ ثم على ريشته حين بثّه فيها .

فإذا نظرنا مثلاً إلى لوحةِ فاسيلي كاندينسكى *Vasily Kandinsky*  
البديعة المسماة « خطوط سوداء *Black Lines* » وجدنا ألوانها المتنوّعة

---

(١) *Value of Non — Objectivity* بقلم هِلّا ريبّي *Hilla Rebay*  
نشر *Solomon R. Guggenheim Foundation, New York* « قيمة  
اللاموضوعية » .

« وفن الغد » *Art of Tomorrow* من نشر المؤسسة ذاتها ، وعن  
« الروحية في الفن » *On the Spiritual in Art* الترجمة الانجليزية تأليف  
فاسيلي كاندينسكى *Wassily Kandinsky* .

وتدّخلها الجميل وما فيها من خطوطٍ ونقاطٍ موحيةٍ بالحركة والحياة الخصبية والدَّفءِ والفرحة ما يُشعرنا بروح الصَّيف ، ولو خُيِّرنا لآثرنا هذا الاسم لها على اسمها المعروف .

إنَّ الفنَّ اللاموضوعيَّ يُعنى بالفراغ على اللوحةِ وباستغلاله استغلالاً فنياً يعبر عن نوع الوَحْيِ المستمدُّ منه ، لا عن موضوع معيَّن بأشكالٍ معيَّنة . ولكأنْ دُنسكي كما لغيره من الرائدِين أمثال مُوهولي — ناجي Moholy - Nagy ورودولف باؤر Rudolf Bauer وهلّا ريبين Hilla Rebay بدائع كثيرةٍ متنوعةٍ معبرةٌ عن مُنوعِ الأحاسيس التصوفيةِ الكونيةِ ، وعلى سبيل المثال نذكر لموهولي — ناجي لوحته المسماة « طابع أمواج الفضاء Space Modulator » والتي نوْثِرُ أن نسبها « عالم جديد » وكأنَّها مخلوقةٌ من الضَّوء المنوع خلقاً ، وكذلك في تكوينها الزجاجيِّ الجسم ، فتأملها يملأ الإنسان بِتَصَوُّفٍ كوفيٍّ فريدٍ ويسمو به فوق كونه المألوف ، بلْه عالمه الأرضيُّ . هذان مثالان مِنْ تَأَثُّرنا بنموذجين للفنِّ اللاموضوعيِّ ، وقد يختلف تَأَثُّرنا عن تَأَثُّرنا ، ورُبَّما تبايَنَ تبايناً كبيراً . وهذا حالُ جميعِ الفنون ، بل شأنُ ضُروبِ الحياةِ العقليةِ والعاطفيةِ جميعها .

إنَّ فلسفةَ التصوير اللاموضوعيِّ ليست في الرمزية Symbolism

ولا في التجريد *Abstraction* ، فهي ليست منهما في شيء ، وإنما هي تجميل  
الفضاء بما يوحى بحياة إيقاعية ما بين الأشكال المنقوشة التي تحذوها يد  
الفنان في غير وعي ولا تعمّد ، ولكنها مع ذلك تأتي في انسجام بديع  
وتوازن شائق تجمع بروحانياتها عناصرها المختلفة بحيث يستمتع المرء  
بالتطلع إليها والإمعان فيها كما يستمتع بأغنية حلوة تفتح لها الأذن ،  
ولو أن من الناس من لا تسترئ طبيعته الفن كيفاً كان بل يعيبه ،  
فيصح أن يقال له :

كُنْ أَنْتَ نَفْسِي وَاقْرَأْ بِمَوَاطِنِي تَجِدِ المَعِيبَ لَدَيَّ غَيْرَ مَعِيبٍ  
والراجح أن كثيرين سيجدون في النموذجين اللذين أشرنا  
إليهما — على سبيل المثال — مميزات مختلفة عما أحسنا به إزاءها ،  
ولكن لا ريب في أنهما مثالان من أمثلة الجمال الفني اللاموضوعي ،  
وفي أولهما روح الطبيعة القريبة ، وفي ثانيهما روحها السرمدية التي  
تُخَيِّلُ في الكون عامة . وثمة أحاسيس كثيرة إزاء النماذج الأخرى  
العديدة التي يَزَخُرُ بها ( متحف التصوير اللاموضوعي —  
*Museum of Non-Objective Painting* ) في نيويورك ، وهو فيما  
نَعْلَمُ المتحف النغم الوحيد من طرازه في العالم ، والمظهر الفني الباذخ  
لروح التحرر المطلق الأصيلة في الشعب الأمريكي . . .

ليس الفنُ الخلاقُ في محاكاة الطبيعة ، فالقوتوغرافيا مثلاً  
أو المسجلُ الصوتيُّ لأصواتِ الطبيعةِ المختلفةِ كفيلاً بذلك ، وإنما يكون  
في استيحاء رُوحِها أو في إبداع رُوحٍ منافسةٍ لها ، وقد يكمنُ الفنُ  
الخلاقُ في الآثار الفنيةِ الأكاديمية ، أو الانطباعيةِ *Impressionistic* ،  
أو التكعيبيةِ *Cubistic* ، أو التجريديةِ *Abstractive* ، كما يكمنُ في  
الآثار الفنيةِ اللاموضوعيةِ *Non-Objective* ، لأنَّ الفنَّ مرآةٌ لشخصيةِ  
الفنانِ ، وكيفما كان المجالُ لا يمكنُ تحقُّقُ تلك الشخصية . وإنما يتميز  
الفنُّ اللاموضوعيُّ بأنَّه لا يستعينُ بالموضوع للتأثير ولا لإعلان طاقته  
من الجمال ، بل يعتمدُ على خصائصه الذاتية التي تشيعُها عبقريةُ صاحبه  
فينقلُ أحاسيسَه وتأثيراته إلى نفسيةِ الرائي أو المستمع إذا كان أهلاً  
للتجاوبِ معه . وعلى هذا الأساسِ نعرفُ كيف أنَّ من الشُّعْر أو من  
النُّحْتِ ما قد يَنحطُّ عن مستوى الفنِّ لأنَّه يكون مجردَ تصويرٍ  
لِلرأى أو للحوادثِ دونَ إبرازِ رُوحِها ، في حين أنَّ الفنَّ الرَّاقِيَّ  
( ولو كان من أثرِ مناسبات عابرة ) يتضمن من معاني الجمال والفلسفةِ  
الإنسانيةِ أو الكونيةِ ما يسمو به فوقَ حدودِ المناسباتِ العابرةِ والحوادثِ  
الطارئةِ والشؤونِ الشخصيةِ المَحْصَة .

وصفوة القول إنَّ التصويرَ اللاموضوعيَّ الذي بلغَ ذروةَ الرُّقى  
في أمريكا بعد تطوُّر أشرفَ على الحُسينَ عاماً يُعدُّ من طرائف الطَّلَاقَةِ  
الفنِّيةِ الإيحائيةِ ، وهو أكيدٌ خَلِيقٌ بدراسةِ الأدباءِ والفنَّانينَ أينما كانوا  
وكيفما كانت مَذاهِبُهُم .



# آن سابورييتى والسريالية فى الفن

## ANNE SAPORETTI & SUR-REALISM IN ART

إذا ذُكرَتِ الثقافةُ الأمريكيةُ أُنجمَ التفكيرِ على الفورِ عند كثيرين من الناس خارج أمريكا إلى التَّقدُّمِ العلمى والطبى والتكنولوجيا وتوسيعِ النهضة الأمريكية العظيمة فى الفنونِ المُنوعَةِ ومن بينها فنُّ الرَّسْمِ والتَّصويرِ ، ولو أنَّ التكنولوجيا الأمريكية هى عمادُ الحضارةِ الحديثةِ التى تتسابقُ إلى الأخذِ بها كلُّ أمةٍ حيَّةٍ .

لذلك يشوقنا فى الوقت الذى بلغَ فيه الشعرُ العربىُّ الشَّريالى فى الشرقِ مكانةً ممتازةً — كما نرى فى دواوين منظومات كامل أمين وأبىر أديب وجورج حنين ومحمود حسن اسماعيل وعادل أمين ونازك الملائكة وكامل التلمسانى وغيرهم ، وبينهم مَنْ نظمَ بالفرنسيَّةِ أولاً مثل جورج حنين صاحب قصيدة « انتحار مؤقت » الشهيرة<sup>(١)</sup> — وفى الوقتِ الذى أطلَعَ الشرقُ العربىُّ أيضاً رسَّامينَ ومصوِّرينَ سُرِّياليَّينَ ممتازينَ على رأسهم الأستاذُ رمسيس يونان — أَجَلُ يشوقنا

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للشعر ( ص ١٤٦ ) — ( طبع دار القنطرب بالقاهرة ) .

في هذا الوقت أن ننوءَ بالنهضة الفنية الأمريكية في التصوير السريالي، التي تمثلها أكل تمثيل الفنانة المبدعة Anne Saporetti آن ساپورتى كما تجلّى في معرضها الشتوى في يناير من سنة ألف وتسعمائة واثنين وخمسين في رواق ديليس *Delius gallery* بمدينة نيويورك، حيث عُرضت اثنتان وعشرون لوحةً هفافة رشيقة من ريشتها الساحرة منوعة الخواطر والموضوعات العاطفية الحاملة .

ولماذا نذكر الشعر السرياليّ إلى جانب الرسم والتصوير السرياليّ ؟ إنما نذكره لأننا في مجال الحديث إلى الأقطار العربية التي اعتزّ فيها الشعر السرياليّ في بغيها الأدبي الجديد ، كما أخذ يعتزّ التصوير السرياليّ كذلك ، ونذكره لأنّ السريالية هي في الأصل حركة أدبية ثم مرّت إلى التصوير<sup>(١)</sup> بل انتقلت إلى التمثيل والسينما كما نرى في أساطير هوفمان *Tales of Hoffmau* ، ونذكره لأنّ في تأكيد وحدة الفنون مُتعة أكبر وتوسيعاً لآفاق التقدير .

إنّ السريالية هي بنت اللاوعي أو العقل الباطن ، وهي تُنفَى

(١) *System and Dialectics of Art* تأليف Cohn D. Grahame

(طبع *Delphic Studios* في نيويورك) ، وكذلك كتاب *Art of This*

Contury لحررتة Peggy - Guggenheim

بتوكيد حقيقة الأشياء غير المادية وبتوكيد وهمية الأشياء المادية ، على حدّ تعبير ألبرت أينشتاين :

ونحن بازاء فتانة موهوبة نابغة تذهب في سُرياليتها إلى حدود بعيدة ، بل تكاد لا توجد لها حدود . وهي لا تحاول أية محاولة في أن توفق ما بين الوعى واللاوعى في تكييف موضوعاتها وتأليف صوريها ، كما صنع كثيرون من قبل من المصورين الشراليين البارعين ، ولكنها تذهب إلى أقصى من ذلك ، فتعطينا نماذج من أحلامها التي كاد يعفيها النسيان ولذلك تبدو لوحاتها باهتة أثيرية كأنها خليط من عناصر منوعة لأحلام لم تبق منها غير ظلال . وهذا مما يفسد جمالاً خاصاً بها ، ومما يخلق منها الغاراً للدارسى الأحلام والنفسيات . أمّا عن صناعيتها في الرسم التي تخلق — فيما يُخال — عدم مبالاة — هذه العجائب ، فهي من البراعة بمكان عظيم كما شهد لها أشدُّ ناقليها<sup>(١)</sup> ، وتكاد أصبغها تحمّر في الأسود مع الأبيض في اللون الرمادى الخفيف الرقيق .

ونحن لو أردنا أن نُقارن بين لوحاتها وبين ما يعرضه جيمس

---

(١) مجلة *Pictures on Exhibit* لعمبر يناير سنة ١٩٥٢ ، ص ٢٨ ، بقلم Stanton Kreider ومقال المندوب الفن لجمعية النيويورك تايمس بتاريخ ١٢ يناير سنة ١٩٥٢ ، ومجلة *Art News* من يناير سنة ١٩٥٢ .

جويس مثلاً في كتابه (أولس) من صُورِ تَبْدُو مفككة العناصر (في حينِ يَسْتَطِيعُ التَّأَمُّلُ السِّكُولُوجِيُّ أَنْ يَرَى بَطْهَا بِمَقْهَا بِيَعَضٍ) لما كُنَّا مُنْصَفِينَ تَمَامَ الْإِنْصَافِ بِهَذِهِ الْمَقَارِنَةِ ، لَأَنَّ عُنَاصِرَهَا هِيَ أَطْيَافُ شَرِيَّةٍ انْتَزَعَتْهَا لَوْحَاتُهَا مِنْ أَحْلَامِهَا شَبِهُ الْمُنَسِّيَّةِ وَسَجَّاتُهَا بِأَصْبَاحِ الْحَالِمِينَ الْبَاهِتَةِ .

وَمِنْ حَقِّ الدَّارِسِ النَّفْسَانِي لِهَذِهِ اللُّوْحَاتِ الْبَدِيعَةِ الَّتِي تَنْتَظِمُ عَوَامِلُهَا النَّفْسِيَّةُ وَنَزَعَتُهَا الْفَنِيَّةُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ هَذِهِ الْفَنَّانَةَ الْمُوَهَّوبَةَ الَّتِي تَنَازَهُ الْأَرْبَعِينَ هِيَ مِنْ أُسْرَةٍ تَرْجِعُ إِلَى (New England) نِيُو إنْجِلَاند . فَهِيَ مِنْ أُسْرَةٍ أَمْرِيكِيَّةٍ جَدُّ مَحَافِظَةٍ مَقَرُّهَا فِي پُورْتَسْمُوثِ بُولَايَةِ نِيُو هَامْبُشِر . وَقَدْ دَرَسَتْ الْفَنَّ فِي بَارِيزِ الَّتِي تَعُدُّ مَهْدَ الشَّرِّيَالِيَّةِ الْحَدِيثَةِ ، وَسَاحَتْ كَثِيراً فِي غَرْبِ أَوْرُوبَا وَإِيطَالِيَا وَتَشَرَّبَتْ ثِقَاتَهَا إِلَى جَانِبِ اسْتِيعَابِهَا لِلتَّقَاةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ ، وَأَقَامَتْ فِي بَارِيزَ سَبْعَ سِنَوَاتٍ كَامِلَةٍ مِنْ سَنَةِ أَلْفٍ وَتِسْعِمَائَةٍ وَثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ إِلَى سَنَةِ أَلْفٍ وَتِسْعِمَائَةٍ وَأَرْبَعِينَ ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا الْفَنَّانِ إِلَى الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَعَادَتْ إِلَى بَارِيزَ فِي سَنَةِ أَلْفٍ وَتِسْعِمَائَةٍ وَسِتٍّ وَأَرْبَعِينَ مَعَ ابْنَتِهَا الْأَمْرِيكِيَّةِ الطِّفْلَةِ ، وَبَقِيَتْ فِي مَدِينَةِ النُّورِ الْأُورُوبِيَّةِ نَحْوَ سَنَتَيْنِ ، وَأَخِيرًا انْتَقَلَتْ الْأُسْرَةُ إِلَى الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ ، وَسُرْعَانَ مَا تَجَلَّى قَتْنُهَا وَفَنُّ زَوْجِهَا

في هذا العالم الجديد الذي هو مسقط رأسها كما كان مسقط رأس إدجار آلن بو الخياليّ الحالم الذي تُسمعها قراءته كما يُسمعها القزفُ على المندولين برشاقة هي أشبه ما تكون برشاقها التصويرية ، وكما يُسمعها الاستغراق في أدب فرجيل وأدب جوليين جراك *Julien Gracq* ..

وليس من اليسور دَرَسُ جميع اللوحات المروضة في هذا المعرض الشائق ، وعلى الأخص لأن جميعها من طراز واحد ، ألا فيما ندر حين تنحرف قليلاً إلى شيء من الكلاسيكية الجديدة في تصوير الوجوه ، فيحسبنا أن ندرس نماذج منها ذاكرين كيف كان الأدباء والفنانون حتى في سنة ألف وتسعمائة وخمس وعشرين يتناقشون في صلاحية الثريالية أو عدم صلاحيتها لفن التصوير ، معتمدين على بحث ما كس إرنست (*Surrealism by Max Ernst*) الذي صدر قبل ذلك الحين بخمس سنين .

فن صوريها المركبة لوحة « الشاطئ الجنوبي الغامض — *Enigmatic South Beach* » التي نقشتها بوحى زياراتها السابقة لإيطاليا والجنوبى أوروبا . ففي صدر هذه اللوحة نرى رأساً كبيراً لتمثال يوناني يُعطى أعلاه وبتهدل إلى جانبه نسيج زاهٍ ، وكأنما التمثال رمزٌ إلى مجد سابق ألم به عقلها الباطن ثم بدأ في الحلم المنسى الذي انتظمت

لَوْحَتُهَا ، وكأنما الغطاء الزاهى الثمين المتدلّى منه فيه معنى الإكرام كما فيه معنى التنبيه والإحياء لذلك المجد . ومُلّقَى أمام التمثال بعض الأصداف المَهْشَّة والحار والكثيرى وعصاة — وهى رموزٌ لبقايا حيواتٍ سابقة — ثم فى الركن الأيمن من اللوحة صورةٌ آدميةٌ جانبيةٌ على لوحة صغيرة ، وقد رشقتها المساميرُ ، وكأنما هى صورةُ الماضى السَّيِّئِ يُعاقَبُ ويُقضى عليه ! هذا ما يَقَعُ على شاطئ البحر غير المنظور . أمّا خلف ذلك التمثال فتبدو سيدةٌ وطفلتها هما بلا ريب الفنّانةُ وابنتها ، وبينما الطفلةُ تتجّه إلى البحر غير المنظور الذى يمثّل المستقبل تتأمّلُ السيدةُ فى الحاضر والماضى بمنوع رموزهما من عمودٍ أو تمثالٍ أترى على منصفته ومن شخصٍ ومن منارٍ وملاكينٍ وسيدةٍ بمظلتها عن بُعدٍ ، ومن سحُبٍ وغير ذلك خَلَقَتْها خطوطٌ سينجاريةٌ يُخَفِّفُ منها البياضُ أحياناً ، وكأنما يَلْفُها جميعاً ضبابٌ خفيفٌ ، هو رمزُ النسيان .

ومن صُورِها المركّبة تلك الموسومة «مَشْهُدُ الْمُتَنَزَّهَةِ Park Scene» حيث نرى فى لوحها رجلاً عارياً جالساً على منضدة وهو يَعْرِفُ على المنذلين ، وإلى جواره سيدةٌ عاريةٌ إلا نصفها الأسفل ، وقد وقفت على رأسها حمامة كناية عن السّلام ، واستندت برفقها الأيسر على كتف الرجل كناية عن اعتمادها عليه ، وإلى جانبها طفلةٌ تمثلت لُفْبَتُها فى صورة

حامية أيضاً ؛ ولا ريب أن الأشخاص الثلاثة يمثلون أسرة الفنانة ، كما أن حالة العزى للرجل والمرأة إنما يعبران في تقديرى عن نفسية الفنانة ( التى نشأت في وسط محافظ ) من ناحية تعلّقها الجديد بالحرية في كنف السلام العائلى . وليست الأشياء المبعثرة على المنضدة بجوار الرجل إلا رموزاً لشواغل الحياة وتكاليها . ثم نرى خلفها سوراً بفصل ما بين شرفة المنزل التى آثرت الفنانة أن تكون وأسرتها بها ، كناية عن حرصها على استقلال أسرتها وعزّلتها في سلام وصفاء ، وبين المنزل ذاته حيث يتسلى الناس ويمرحون وحيث تنهض القمّة الزخرفية والزهريات مُمثلة عالم آخر من الهدوء والسلام تحبّه هذه الفنانة ولكنها تؤثّر عليه عالمها المستقل .

وثمة بين صورها المركبة الطريفة صورة تدعى « لغز الشاطئ الجنوبي — *South Beach Enigma* » ، وأهم ما فيها صورة سيدة جالسة وتوأمها واقفة بجوارها مستندة إليها ، وهما بلارب يرمرزان إلى الشخصية المزدوجة ، ثم أمامهما بعض نفايات الحياة وحوادثها من صدق وفاكهة وزهر ويد من الجص ، كناية عن اليد العاجزة عن الحصول على مطالب الحياة ، وخلف السيدتين نرى المصبة التى تمثل الطموح في الحياة وقد نظرت إليها إنسان متأمل طموح ، كما بدا

حَاطَتْ جِلْسَتْ أُمَامَتَهُ سِيدَةً جِلْسَةَ التَّحْدَى ، وَنَمَّةَ السَّيْدَةِ الَّتِي تَسِيرُ  
بِمِظَلَّتِهَا سَيْرَ الْقُرُورِ ، وَقَدْ تَلَبَّدَتْ السَّمَاءُ — سَمَاءُ الْحَيَاةِ — بِالْفُيُومِ  
كُنَايَةً عَنْ اضْطِرَابِهَا .

ولا ريب أن لوحَهَا « الْقَنْزَةُ الْمَلَانِكِيَّة » -- Promenade  
« Angelique » هي من رَوَائِعِ صُورِهَا الْمَرْكَبَةِ ، إِذْ نَرَى فِيهَا أُسَاسِيًّا  
مَلَكَاً قَرِحاً سَائِراً وَقَدْ رَفَعَ جَنَاحَيْهِ ، يَقْبَعُهُ مَلَكٌَ حَزِينٌ انْخَفَضَ  
جَنَاحَاهُ وَقَدْ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِهِ الْمُتَعَبِ ، وَخَلْفَهُمَا شَبْعُ كَلْبٍ  
كَاسِفِ الْبَالِ مُتَجَهِّ وَجْهَةً أُخْرَى ، إِشَارَةً إِلَى عَنَاءِ الْوَفَاءِ فِي هَذَا الْعَالَمِ ،  
كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكِينَ يُمَثِّلَانِ شَخْصاً وَاحِداً إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْحَيَاةَ — حَتَّى  
أَنْقَاها وَأَطْهَرَهَا — صَفُوهَا وَكَدَّرَهَا تَوَامُنًا .

وَمِنْ أَوَّلِ لَوْحَاتِهَا الْقَرْدِيَّةِ صُورَةُ « الْمَلَكِ — Angel » رَافِعاً  
جَنَاحَيْهِ وَهُوَ يَهْتُمُّ بِالدَّخُولِ مِنْ بَابٍ مَفْتُوحٍ حَامِلاً الْبَشَرِيَّ الطَّيْبَةَ .  
وَالْوَجْهَةُ الْجَمِيلُ الْوَاضِعُ لَيْسَ مِنَ الْحِلْمِ الْمُنْسَى فِي شَيْءٍ ، وَإِنْ كَانَ أَثِيرُ  
السَّمَاتِ . وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْجِسْمِ الْعَارِي فَأَشْبَهُ بِجِسْمِ ( آرِيل ) كَمَا رَسَمَهُ  
بَعْضُ الْفَنَانِينَ فِي تَصْوِيرِهِمُ ( الْعَاصِفَةِ ) لِشِيكْسِيرِ ، وَلَكِنَّ الْقَوَامَ  
نَمَشُوقٌ فَارِعٌ كَالْقَوَامِ الْأَمْرِيكِيِّ الْأَثَوِيِّ الْحَدِيثِ . وَلَا يَسَعُ مُحِبُّ  
الْفَنِّ إِلَّا أَنْ يَقِفَ مُعْجَباً مَبْهُوتاً أَمَامَ حِذْقِ الْإِخْرَاجِ الْجَرِيءِ مَعَ الْمُرَاعَاةِ



التامة لدقة التشريح في الرسم . ولما كان واضحاً أن الفنانة هي بذاتها  
المثلة في الصورة ، فالباحث السيكولوجي قد يرى في هذه اللوحة  
إيمانها برسالتها الخيرة في الوجود واعتدادها المستور .

هذه لمحات خاطفة وتفسيرات عنت لنا لهذا الفن الأمريكي  
الحديث الذي يمتحج إليه ويُتهافت عليه من أقطار شتى ، ولعل في حديثنا  
هذا ما يطيب لمستمعينا ولغفائتنا على اختلاف مذاهبهم في العالم العربي .



في أرب الملونين



# بوكروشنطن

Booker T. Washington

رَحِمَ اللهُ الْمُتَنَبِّئِ الْقَائِلَ : —

وما الحُسنُ في وَجهِ القَيِّ شَرَفًا لَهُ إذا لم يكنْ في فِعْلِهِ والخِلاقِ

وما بلدُ الإنسانِ غَيْرُ المَوافِقِ ولا أَهْلُهُ الأَدَنُونَ غَيْرُ الأَصَادِقِ

وجائزَةُ دَعْوَى الحُبَّةِ والمَوى وإنْ كانَ لا يَخْفَى كَلامُ المُنَافِقِ

وما يُوجِعُ الحَرمانُ مِن كَفِّ حارِمٍ كما يُوجِعُ الحَرمانُ مِن كَفِّ رازِقِ!

ثم رَحِمَ اللهُ الرَّعِيْمَ الزَّنجِيَّ الرَّائِدَ بُوكرَ وشنطن *Booker T.*

*Washington* الَّذِي نالَ مَكانَةً بارِزَةً في تَاريخِ أَمَريِكا التَّعليمِيَّ يَفْتَخِرُ بِهِ

الأَمَريكيونَ جَمِيعًا وَالَّذِي يَنطَبِقُ عَلَيهِ شَعْرُ المُتَنَبِّئِ مِنَ الوَجهَةِ الإِيجَابِيَّةِ .

لَقَدْ أَلَفَ بُوكرَ وشنطن جُمْلَةً كُتِبَ أَشهرُها تَرجَمَةُ حَياتِهِ

المُوسومة « التَّهَوُّضُ مِنَ العُبُوديَّةِ — *Up from Slavery* » وَقَدْ

تُرْجِمَتْ إِلَى ثَماني حَشرَةٍ لُغَةٍ ، وما أَحرَها بِأَن تُنْقَلَ إِلَى العَرَبِيَّةِ .

وغيرُها كُتَابُهُ « مُستَقبَلُ الزَّنجِيِّ الأَمَريكيِّ *The Future of the*

*American Negro* » وَكُتَابُهُ « البَذَرُ والحِصادُ — *Sowing and*

*Reaping* » وَكُتَابُهُ « بِناءُ الخَلْقِ — *Character Building* » وَكُتَابُهُ

« العمل باليدَين — *Working With the Hands* » وترجمته للزعيم  
الزنجي فردريك دجلاس *Frederik Douglas* المَعْدُودِ أَوَّلَ زَنْجِيٍّ  
مُصْلِحٍ رَائدٍ في الولايات المتحدة الأمريكية ، وله كُتُبٌ وأوراقٌ أخرى  
قِيَمَةٌ منها نحو مائة ألفٍ وثمانين ألفٍ ورقةٍ تَشْمَلُ عِدَّةَ موضوعاتٍ  
مَنَوَعَةٍ أَهداها ( مَعَهْدُ تَسْكِيجِي *Tuskegee Institute* ) إلى مكتبة  
الكونجرس الشهيرة بوشنطن ، وهي تَوَلَّفُ مَرَجِعاً من أغنى المراجع  
وأهمها عن تاريخ الزُّنُوجِ في الولايات المتحدة الأمريكية ، كما تشهد  
بعظمةِ هذا الرجل النفسية التي تتمثل في قوله الشهير : « تُقاس حياة  
كلِّ إنسانٍ بالقُدرةِ التي لدى الفردِ لجعلِ العالمِ أَصَاحَ ، فهذا هو عِشْلُ  
ما تَعْنِيهِ الحَيَاةُ » .

لقد بَلَغَ هذا العصاميُّ الجليلُ منزلةَ الخُلُودِ في أُمَّتِهِ بِمَحْضِ مواهبِهِ  
وكفايَتِهِ وسماحتِهِ وإنسانيَّتِهِ على الرغمِ من انتسابِهِ أَصلاً إلى العبيدِ ، وعلى  
الرغمِ من ضِعَةِ حالِهِ ، لأنَّ المواهبَ الرَفيعةَ لا يُمْكِنُ أَنْ تُجَدَّدَ في كلِّ  
وقتٍ ، ولأنَّ مَنْ يَحْتَرِمُ نَفْسَهُ وَيَحْتَرِمُ مِثَالِيَّاتِهِ العالِيَةَ وَيُؤْمِنُ بِالإنسانيَّةِ  
لا بدَّ أَنْ تُوأْمِنَ بِهِ الإنسانِيَّةُ في النِّهايةِ . وقد اعتادَ المتظلمونَ أَنْ  
يتحدَّثوا عن حقهم المَسلُوبِ سَليماً . أمَّا بُوكرُ وشنطن فقد عَمِلَ على  
استِرادِهِ إيجابياً لِنَفْسِهِ ولأَبْناءِ جلدتِهِ في وطنٍ لا يَضُنُّ بِالْفُرَصِ التَّكَافِئَةِ

ويعملُ باستمرارٍ للقضاء على التقاليد البالية على الرغم من كلِّ العقباتِ الموروثة . والاكتفاء بالشكوى لا يُجْدِي في هذا العالم ، وإنما الذي يُجْدِي هو التذرعُ بالوسائل التي تكسب القوتين الأدبية والمادية وتُكسبُ الاحترام ، سواء أكان هذا للأفراد أم للطوائف أم للشعوب ، وحينئذ ، وحينئذ فقط تُرْهَفُ الأذانُ لسماع الشكوى وتفتتحُ الأذهانُ والقلوب للعطفِ والإنصاف . وهذا ما أدركه بوكر وشنطن بثاقبِ نظره بعد أن بلغَ منزلةَ الرجال وما أدركه بفرزته كصبيٍّ صغيرٍ .

وُلِدَ هذا الماهرُ — كما يُقدَّرُ — في الخامس من أبريل سنة ألفٍ وثمانٍ مائةٍ وستٍ وخمسين في مزرعةٍ بمقاطعةِ فرانكلين بولاية فرجينيا وسطَ البؤسِ والإدقاعِ الشديدِ ، وكانت أمُّه طاهيةً على المزرعة ، فعاش معها ومع أخيه وأخته في كوخٍ صغيرٍ لا يتجاوزُ غرفةً واحدةً . وهو يذكر تلك الظروفَ التَّيسَّةَ دون مرارةٍ في ترجمة حياته ، ويذكر ابتهالاتِ أمِّه وصلواتها وضراعتها إلى الله أن يحمِّرها ويحزرها أطفالها من رقِّ العبودية . وقد استجابَ اللهُ دَعْوَاتِها إذ أُعْلِنَ تحرُّرُ العبيد حينما كان بطلنا المترجمُ له في التاسعةِ أو العاشرةِ من عمره . وحينما ندعوه « البطل » لا نغالي في الوصف ، فقد علَّم نفسه بنفسه ، ولم يأنف من أحقرِ الخدمِ لأنه عدَّ كلَّ عملٍ حلالٍ شريعاً . وعدَّ نفسه محظوظاً حينما

التحق بمدرسة صناعية أسسها الجنرال صموئيل أرمسترونج في بلدة هامبتون بولاية فرجينيا حيث كان الزوج يتعلمون ويكسبون في الوقت ذاته لقاء بعض الأعمال اليدوية . وفي صباح يوم من سبتمبر سنة ألف وثمان مائة واثنين وسبعين بلغ بوكر تلك المدرسة وكل ما في جيبه خمسون سنتاً ، وكل ما في ذهنه أوليات طبيعية حصلها بنفسه في أشق الظروف حتى ترددت ناظرة المدرسة في قبوله ، ولكن تفانيه في القيام بواجباته سرعان ما جعله أثيراً . لقد قطع إلى ذلك المعهد التعليمي خمسمائة ميل معظمها على قدميه من سكنه في غرب فرجينيا ، فكوفي على عزمه وجلده وعرفانه الواجب خير مكافأة بالرضا عنه وباستمرار دراسته حتى أتم تعلم صناعة البناء . ولم يكتف بذلك بل درس في مدرسة ويلاند *Wayland* حتى يهيئ نفسه ليكون سكرتير الجنرال أرمسترونج لينظم في هامبتون فصلاً للتعليم الليلي أيضاً . وقد أحب هامبتون التي تعلم فيها — كما قال فيما بعد — « أن أسعد الناس هم أولئك الذين يعملون أكثر ما يعمل للغير » .

أحب بوكر أرمسترونج حباً جما وبقي طول حياته صديقه الحميم . فلا غرابة إذا عهد إليه الجنرال أرمسترونج بتأسيس مدرسة لتدريب المعلمين الزوج سنة ألف وثمان مائة وست وسبعين في بلدة تسكيجي



*Tuskegee* بولاية ألباما . وكان همّ وشنطن أن يُعلّم تلاميذه فنّ الحياة من جميع النواحي حتى يعرفوا كيف يعيشون وكيف يخدمون أنفسهم ووطنهم بعد مغادرتهم مَعْهَدَهُمْ ، وكيف يَكْسِبُونَ رزقهم مستقلين ، وكان يؤمن بأنّ هذا المسلك وحده هو الذي يُؤدّي إلى النهضة الاقتصادية والاستقلال . ومُذْ كان رجلاً متديناً مستقيماً قد بثّ رُوحَ الاستقامة والتديّنِ هذه ( التي ورثها عن والدته خاصّة ) في نفوس طلبته ، كما بثّ فيهم التعلّق بالأرض التي جاء أغلبهم منها حتى يعودوا إليها عناصرَ وعوامل طيبة للإصلاح .

وفي الأربع والثلاثين سنة التي تَلَتْ تأسيسَ تلك المدرسة حتى وفاة بوكر وشنطن في الرابع عشر من نوفمبر سنة ألف وتسعمائة وخمسة عشرَ كَرَسَ جُهودَه لخدمة أبناء جلده الزنوج خاصّة وذلك بالتعليم والمحاضرة من أجل مَعْهَدِهِ الحبيب في تَسْكِيجِي *Tuskegee* الذي بلغ من الشهرة والاحترام منزلةً قوميةً ، حتى إنه عند وفاته بلغ عددُ طلبة مَعْهَدِهِ الشهير ألفاً وخمسمائة وتسعة وثلاثين بعد أن افتتح أصلاً ثلاثين طالباً لحسبُ كان هو وحده معلّمهم في حين بلغ عددُ المعلمين وقتَ وفاته مائة وسبعة وتسعين جميعهم من الزنوج ، وكانوا يدرسون نظرياً وعملياً ثمانية وثلاثين مهنةً وصنعةً . وَنَمَتْ مِلْكِيَّةُ ذلك المعهد من محلّ

متواضع إلى ما أُرْبَى على أُنَى فدانٍ من الأرض ، مع مائة مَبْنَى محترم .  
 بناها طَلَبَةُ المعهد أنفسهم ، وقد تَلَقَّى المعهدُ مِئْثَةً من الكونجرس  
 خمسة آلافٍ وعشرين ألفَ فدانٍ في شمالي ألباما ، ولديه من الهبات  
 ما يُناهزُ مليوني دولار . ولم يُغفلُ بوكر وشنطن التعاونَ مع أعلام  
 الزُّنوج المثقفين وسواهم ، وفي مقدمة هؤلاء يطيب لنا أن نذكر العالمَ  
 الزنجيَّ الذائع الصيتَ جورج وشنطن كارفر *George Washington*  
*Carver* الذي رَئِسَ قسمَ الزراعة بمعهد .

ولما توفى أبْنُه الرئيسُ الأسبقُ تيودور روزفلت خيرَ تأيينٍ .  
 وفي سنة ألفٍ وتسعمائة وستٍ وأربعين وُضِعَ تمثالُه النصفي في قاعةِ  
 الذكرِ والشهرة *Hall of Fame* بجامعة نيويورك وحيا ذكراه  
 الرئيسُ هاري ترومان أحسنَ تَحْيَةٍ . وفي سنة ألفٍ وتسعمائة وتسعٍ وأربعينَ  
 وُضِعَ كوخُ يماثل ذلك الذي يُظَنُّ أن بوكر وشنطن وُلِدَ فيه بمحل  
 مولده واعتبرته ولاية فرجينيا مزاراً رسمياً مُجَلِّدٌ ومُحجِّجٌ إليه .

وأمامَ عظمةِ ذكراه ونفسهِ الساميةِ ووطنيتِهِ العاليةِ وإنسانيتهِ الفذةِ  
 يُباهى جميعُ الأمريكيتين دونَ استثناءٍ باتسايهِ إلى هذا الوطنِ الذي  
 بادلهُ الحبُّ والوفاء .

## چونج وشنطن کارفر

فی التَّاسِعَ والعَشْرِينَ من مایو سَنَةِ أَلْفٍ وتسَمِائَةٍ وإحدى وأربَعینَ ظَهَرَتْ بِجَرِیدَةِ (الأهرام) فی القاهرة النبذة الآتیة :

« نَشَرَتِ الصَّحْفُ نبأَ فوزِ الدکتور وشنطن کارفر — وهو عالمٌ زَنْجِیٌّ من أَمْرِیکا — بِجائزَةِ روزفلتِ العَلِیَّةِ ، وَعَلَّقَتْ عَلی ذَکَ بقولها : إنَّ إحرازَ العالمِ الزَنْجِیِّ لِلجائزَةِ دُونَ الآخَرِینَ من عُلَمَاءِ أَمْرِیکا یُعَدُّ دَلِیلًا عَلی أَنَّهُ لَیسَ لِلْعِلْمِ جَنْسٌ خَاصٌّ ، وَأَنَّ العَقْلَ البَشَرِیَّ إِذَا صُقِّلَ وَقَوِّیَتْ مَدَارِکُهُ بِالتَّهْدِیْبِ آتَى أَکْثَلُهُ ، لافَرَقَ فی ذَکَ بَینَ الْأَسْوَدِ وَالْأَبِیْضِ ، أَوِ السَّامِیِّ وَالْآرِیِّ . وَقَدْ شَفَعَتِ الصَّحْفُ نَشْرَ الخَبَرِ بِتَهْنِئَةٍ حَارَّةٍ وَجَّهَتْهَا إلی العالمِ الزَنْجِیِّ بِاسْمِ السُّودَانِیِّینَ وَسائِرِ الإِفْرِیقِیِّینَ » . وَأَذْکَرُ أَنَّ هَذَا الخَبَرَ أَحدثَ هَزَّةَ إِمْجَابٍ وَاسْتِحْسانٍ فی مِصرَ بَینَ المُسْتَعْرِبینَ وَالتَّقَدِّمِیِّینَ مَمْرُوجَةً بِشَیْءٍ مِنَ الدَّهْشَةِ ! وَلَکِنِّی لَمْ أَدْهَشْ لذلکَ الاِتِّصَارِ الذی فَارَّ بِهِ العَقْلُ وَالْعِلْمُ لِاعتبارِینِ : أَحَدُهُما اِطِّلاعِی السَّابِقُ مِنْذُ سَنَةِ أَلْفٍ وتسَمِائَةٍ وَثَلَاثَ عَشْرَةٍ عَلی کِتَابِ (الإِفْرِیقِیِّ فی الخَارِجِ — *The African Abroad*) (\*) الذی أَلْهَمَنِی

---

(\*) من تأليف الأستاذ وليام فرس *William H. Ferris, A. M* في جزأين يظهران زهاء ألف صفحة من الطبع الكبير مع صور عديدة من طبع شركة *The Tuttle, Morehouse & Taylor* في نيويورك في أمريكا سنة ١٩١٤ م

مُتَابَعَةً نَهْضَةِ الزُّنُوجِ فِي أَمْرِيكََا خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ ظَفَرُوا بِتَحْرُورِهِمْ عَلَى يَدِ أِبْرَاهَامَ لِنِكَانِ ، وَهِيَ نَهْضَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ لَمْ تَعْرِفِ التَّوَقُّفَ مُطْلَقًا .

وَالْآخَرُ اقْتِنَاعِي مِنْ أَطْلَاعِي وَمِنْ مَشَاهِدَاتِي وَتِجَارِيَّتِي خِلَالَ إِقَامَتِي الطَّوِيلَةِ فِي أَنْجِلْتَرَا وَمِنْ اخْتِلَاطِي بِكَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِكْرِ مِنْ جَنَسِيَّاتٍ شَتَّى — وَبَيْنَهُمْ غَيْرُ قَلِيلٍ مِنَ الزُّنُوجِ — بِأَنَّ الْمَوَاهِبَ لَيْسَتْ مَقْصُورَةً عَلَى جَنَسٍ دُونَ آخَرَ ، وَبِأَنَّ الْعِلْمَ الْعَالِيَّ (وَالْتَكْنُولُوجِيَا خَاصَّةً) إِذَا مَا تَوَطَّدَ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ أُبْرَزَ الْمَوَاهِبُ الْكَامِنَةُ ، وَعَلَى الْأَخَصِّ إِذَا كَانَ الْحَيْطُ الْاِقْتِصَادِيُّ وَالْوَسْطُ الْاجْتِمَاعِيُّ مُسَاعِدَيْنِ عَلَى الثُّبُوغِ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي أَمْرِيكََا . وَمِنْذَ آلَافِ السَّنِينَ قَبْلَ الْمِيلَادِ قَامَتِ حَضَارَاتٌ رَفِيعَةٌ بَيْنَ الْبَابِلِيِّينَ وَالْكَلْدَانِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ وَالسُّومَرِيِّينَ وَالْمَنُودِ وَسَوَامِ فِي الشَّرْقِ وَبَيْنَ الْإِغْرِيقِ فِي الْغَرْبِ ، وَتُبُودَلَتْ اِنتِقَالُ الْمَشَاعِلِ الْفِكْرِيَّةِ بَيْنَ مِصْرَ وَالْإِغْرِيقِ ، ثُمَّ وَرَثَ الرُّومَانُ الْإِغْرِيقَ ، ثُمَّ سَادَتِ الظُّلْمَةُ أَوْرُوبَا ، وَكَانَ لِلْعَرَبِ (مِنْ أَقْحَاحِ وَمُسْتَعْرَبِينَ) فَضْلٌ نَقَلَ مِشْعَلِ الْحَضَارَةِ إِلَى أَوْرُوبَا ثَانِيَةً ، وَمِنْهَا اِشْتَقَلَتْ وَتَطَوَّرَتْ وَارْتَقَتْ فِي أَمْرِيكََا حَتَّى بَلَغَتْ الذَّرْوَةَ فِي هَذَا الْجِيلِ .

وَالْآنَ نَجِدُ أَمْرِيكََا مُحْتَضَنَةً نَابِغِينَ مِنْ أَجْنَاسٍ وَأَلْوَانٍ شَتَّى ، وَنَرَى الشُّعُوبَ الشَّرْقِيَّةَ مَتَيْقِظَةً مِنْ سُبَاتِهَا ، مُتَهَافَّةً عَلَى التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ ،

ملتفتة إلى البحوث العلمية ، وأخيراً مُثبتة القانون الاجتماعي البشري الذي مهد لملل جورج واشنطن كارفر القُبوغ وإفادة الإنسانية . وما من أمة عُنيت بالتعليم الجامعي وبالبحث العلمي التكنولوجي وبتطبيقه ، وبالتطلع إلى التجديد المتواصل ، إلّا وخلقت النوابع باستمرار وانتفعت منهم ونفعت البشرية . والأمم كالأفراد تَصَمَحِلُ وتَهْرُمُ وتَزُولُ إذا ماسطر عليها الجهل أو الجمود أو كلاهما ، بل إنَّ الجمود وحده كافٍ في النهاية للقضاء على عزّة الأمم ولو كانت متعلّمة .

في هذا الوسط الأمريكي إِذْنٌ وَجَدَ جورج واشنطن كارفر فُرْصَةً نُبوغِهِ وَتَرَعْرُعِهِ في جَوْ الحرية الجديد بعد العبوديّة السابقة التي لا قاهأ أبناء جنسه والتي استقبلته عند مولده . ومع أنه لم يبدأ بمعرفة القراءة والكتابة إلّا حول العشرين تقريباً ، فإن عبقريته تجلّت فجأة فإذا به يتمكن من الحصول على درجة « بكالوريوس في العلوم » وهو في سنّ الثلاثين ، ثمّ على درجة « أستاذ في العلوم » وهو في الثالِثَةِ والثلاثين ، وإذا به يَخْطِي بمعرفة الزنجيُّ الرائد بوكرت . واشنطن *Booker T. Wahstngton* الذي كان يُعْنَى حينئذ بتأسيس معهد تَسْكيجي *Tuskegee Institute* في ألباما فالتحق به تلبيةً لدعوة صاحبه في سنة ستّ وتسعين وثمانمائة بعد الألف

للميلاد ، وبقى ملتحقاً به حتى آخر أيامه<sup>(١)</sup> حين توفي في مساء الخامس من يناير سنة ألف وتسعمائة وثلاث وأربعين عن ثمان وسبعين سنة .

ولكن سيرة هذا الرجل العلامة الرائد الذي عُذَّ مِنْ فطاحل هذا العصر بإقرار عباقرة أمثال إديسن وفورد ، والذي نال احترام أعلامه وفي طليعتهم فرانكلين دي لانوروزفلت والكونجرس الأمريكي ، لم تبدأ سهلة هيئة ، بل كانت في بدايتها شاقة مؤلة فأرَضَخَتْ مَصاعبها عِصاميته ونفسه النابهة الغلابة . وسَجَّلَ صفحة ذهبية متألة يسترشد بها الأفراد والأمم وعلى الأخص الأمم المتخلقة .

وُلِدَ كارفر حوالي سنة ألف وثمانمائة وأربع وستين من أبوين رقيقين في مزرعة بالقرب من دياموندجروث بولاية ميزوري . وقد فقد والداه طفولته وسُرِقَ غير متجاوزسة أشهر من العمر مع أمه إلى ولاية أركانساس ، ولم يُهتَدَ إلى أمه بعد ذلك . أمّا هو فقد افتداه من قاطعي الطرق مولاه موسى كارفر *Moses Carver* بجوار عتيق للسباق قُدِّرَتْ قيمته حينئذ بثلاثمائة دولار ، وكان الولد وقتئذ غير كامل

---

(١) راجع كتاب *George Washington Carver - An American Biography* تأليف *Brackham Holt* وطبع *Doubleday & Company Inc. Garden City, New York.*

الذموة فأشفق عليه مولاه موسى الذى تَلَقَّبَ الولدُ بلقبه ولم يكلفه بعضِ مُضْنٍ بل تركه يَمْزُجُ ، فهُيئاً له فُرْصَةً للجولان خارج الدار ما بين الأشجار والنباتات والأزهار والحشرات ، وكان لذلك أثرُهُ فى نفسه وفى قلبه ، إذ ألهمته رَسَمَها ونَقَشَها فيما بعد ، كما أثرت فيه عاطفته الدينية سلوكاً وولوعاً بالموسيقى ، وهى عاطفة قوية عند الزنوج عامة نشأت ونمت تحت دافع اليأس فى عهد الاستعباد .

كان ذلك الصغيرُ جائعاً للمعرفة ولا من يُعَلِّمُهُ فى بيئته ، وكان يَغْبِطُ مَنْ حوله مِنَ البيضِ المتعلمين . فلما ترعرع أخذ بنفسه يَجْهَدُ فى سبيل المعرفة التى يَنْشِدُهَا قاضياً لِيَالِيهِ بين الأنابير ونخازن الدريس والعُشْبِ الجَفَفِ ، قائماً بأى عملٍ يتفق له ليستعين بأجره على قوته وعلى تعليمه بمدرسة ريفية . ومنها انتقل إلى التعليم الثانوى مستمعيًا على نفقاته بما كان يتقاضاه أجراً على غسل الملابس ، وكانت حرية العبيد قد تَقَرَّرَتْ فى سنة ألف وثمانمائة وخمس وستين فشبَّ غيرَ مقيدٍ ، ولو أنه كان مُعَدِّمًا ، وانتقل من خدمة مُصْطَه إلى خدمة نَفْسِهِ . ثم رحل إلى ولاية أبوا حيث فتَحَ مَفْسَلًا صغيراً ليستعين بدخله منه على الالتحاق بكلية سِمْنَسِن Simpson College واستمرَّ على ذلك ثلاث سنواتٍ ، وبعدها التحق بكلية ولاية أبوا Iowa State

College في بلدة إيمز متفرغاً للدراسات الزراعية مدة أربع سنوات ،  
وهناك نفعته خبرته السابقة بالنباتات والتربة ومعلوماته عنها . ومن ثمّة  
هياً نفسه للعمل مع بوكرت . وشنطن بمعهد تسكجي حيث شرع من  
« لا شيء » في إعداد معمله الزراعي وحقل التجارب الملحق به وكانت  
مساخته ستة عشر فدّاناً ، فبرع في ذلك أية براعة وأدهش بحسن تصرّفه  
وواسع حيلته ، إذ أبى أن تقف أية عقبة في طريق مشروعه الجليل الذي  
أثمرت فيه عبقريته وشغقت عن ذهن خلاق من الطراز الأول في مجال  
البحوث العلمية الزراعية ، حتى كأنما هو ساحر كيميائي ، وهو الذي  
بدأ ببناء خاو ويدي خاوية وبأرض خاوية رملية قبيّة ، فعمل  
المعجزات بأهون الأشياء لتأسيس معمله غير محترم أدوات المطبخ  
والزجاجات القديمة والحابر والملق من قطع الخشب والحديد التي  
خلّصها من أكوام النفايات ، وكان يبعث بطلبته يوماً بعد آخر إلى  
المستنقعات والغابات حاملين دلاءهم ليحلبوا إليه ما يصلح تربة سطحية  
وسماداً لأرض التجارب الملحقة بعمله .

بهذه العزيمة الجبّارة والإيمان العميق بدأ كارفر عمله ، وفي قرارة  
نفسه أن كل ما كان يتمّله إنما هو بوحي إلهي لخير البشرية .  
وكانت تجاربه الأولى محصورة في تربة ألباما الطفلية . فلم المزارعين



علمياً وعملياً كيف يحسنون التربة لتنتج لهم محصولاً أوفر من القطن ، وأثبت لهم ذلك بإنتاجه على حقل التجارب التابع لمعهد .

ولاحظ عبودية الجنوب من الولايات المتحدة لحصول واحد هو القطن ، فعمل على إنتاج محاصيل أخرى مربحة . وأصبح ذلك الجنوب الذي كان مهزداً بالخراب يملك الآن — إلى جانب القطن والتبغ — محصول الإيونيا *Ipomea* (أي البطاطا الحلوة وشبهها أو قرين لها اليام *Yam*) ومحصول الفول السوداني *Pea - Nut* كمصدرين عظيمين للثروة الزراعية ، علاوة على ما تفرغ عليهما من صناعات خلقتها ألمعيته . فمن الفول السوداني ابتدع نحو ثلاثمائة من المنتجات النافعة من بينها ضرور من الجبن والحلوى ومسحوق لإعداد القهوة فوراً ومخللات وزيت ومحاليل للحلاقة وأصباغ ودهن وصابون وذرور للوجه وشمبو وحرير للطباعة وشحم للآلات ودقيق وزيت طهي ولبن ومشمع وورق . ومن البطاطا ابتدع أكثر من مائة تحضير هام من بينها الفشاء ، ومجينة المكثبات والخل ومساند الأحذية والحرير والأصباغ واللبس والفراء والسجاد . وكان اتجاه كارثر دائماً إلى ما حوله من الموارد الطبيعية لابتداع صناعات جديدة ، وكان يبعث التبذير والتلف ولا يؤمن بوجود شيء يسمى نفاية (*Waste*)

فصنع مثلاً من نشارة الخشب، رخاماً ، وصنع من سيقان الدرة وسيقان القطن ونشارة الخشب ألواحاً عازلة وقوالب للتبليط . وصنع من النباتات البرية المزهرة نوعاً من الورق . وكان يعتقد بأن أهل الريف يستطيعون أن يعيشوا على ما ينمو حولهم في دائرة لا يتجاوز نصف قطرها مائة ياردة . وليبرهن ذلك جمع الأعشاب والأزهار المحلية والفاكهة البرية والنباتات المجاورة ، ومن معظم هذا الخليط أنتج أطباقاً شهية مغذية من بينها أنواع للحساء والجبن والمأكولات والشواء . وقد دون وصفاته لطهي أو لإعداد هذه الأغذية في نشرات وزعمها في طول البلاد وعرضها تجاناً ، ولم يكتف بذلك بل ابتدع معرضاً متنقلاً بين الفلاحين كان بمثابة مدرسة لهم وكان يطوف محاضراً معلماً في تلك العربية التي كانت أولى المدارس المتنقلة من طرازها ، وهكذا كان مبتكراً في جميع أعماله وليس أهونها شأننا بتجفيف الخضروات لحفظها .

كان الفن هواية كارفر ، ومع ذلك لم يكن ليتغزى له عن علمه أو لينحيه عن فلسفته العملية ، فن طفل ألباما صنع أصباغه لنقش صورته الفنية ، كما أن من هذا الطفل صنع الدهان الملون للبيوت ومنحوقاً للوجه وصلصاً وأصباغاً بلغ عددها ٥٣٦ من ٢٨ نباتاً فقط !

وَتَمَلَّقَ الْمُخْتَرَعُ الشَّهِيرُ طوماس إديسن بوشنطن كارفر ، ففرضَ عليه وظيفةً في مَعْمَلِهِ بِمَرْتَبٍ قَدَرُهُ مِائَةُ أَلْفِ دُولَارٍ سَنَوِيًّا ، وَلَكِنْ كَارْفَرُ اعْتَذَرَ عَنِ قَبُولِ هَذَا الْمَنْصِبِ الْمَاهِمِ لِأَنَّ الْمَالِ لَمْ يَكُنْ يَهْبُهُ لِشَخْصِهِ ، وَلِأَنَّهُ آمَنَ بِأَنَّ رِسَالَتَهُ الْعِلْمِيَّةَ الْإِصْلَاحِيَّةَ يَجِبُ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي الْمَعْمَلِ الَّذِي بَدَأَ فِيهِ وَبَيْنَ أَوْلَادِهِ جِلْدَتِهِ ، دُونَ أَيِّ نَظَرٍ لِنَفْعِهِ الدَّائِي . وَلَوْ أَنَّهُ أَرَادَ ذَلِكَ النِّفْعَ الشَّخْصِيَّ لِأَخْرَازِ أَمْوَالِهِ طَائِلَةً ، فَمِنْ أَهْوَنِ مُحَضَّرَاتِهِ الرَّابِجَةِ الْجَلِيلَةِ الْفَائِدَةِ زَيْتُ الْفُولِ السُّودَانِيِّ الطَّبْنِيِّ الْمَقِيدُ فِي شَلْلِ الْأَطْفَالِ ، فَقَدْ وَهَبَهُ مِئْثَةً لِلطَّبِّ ، وَأَبَى تَسْجِيلَهُ وَالِاسْتِفَاعَ مِنْ وَرَائِهِ ، كَذَلِكَ أَبَى أَيُّهُ هَدِيَّةً مِنْ أَيَّةِ هَيْئَةٍ أَوْ شَرَكَةٍ أَوْ فَرْدٍ مِكَافَأَةً عَلَى خِدْمَاتِ إِذَاهَا تَبَصَّرَ بِمَنْفَعَةٍ أَوْ كَشَفَا عَنْ مَرَضٍ أَوْ حَلَّ لِمُعْضَلَةٍ زَرَاعِيَّةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

وَمِنْ أَلْطَفِ مَا يَرْوَى عَنْهُ أَنَّهُ أُعْطِيَ وَصْفَةً لِشَرَكَةِ بُولَايَةِ الْمِيسِيْپِيِّ لِصِنَاعَةِ الرِّخَامِ التَّرْكِيْبِيِّ مِنْ قَشْرِ الْفُولِ السُّودَانِيِّ ، وَلَكِنْ الشَّرَكَةُ وَجَدَتْ بَعْضَ الصَّعُوبَةِ فِي تَطْبِيقِهَا فَحَافَلَتْ أَنْ تَسْتَهْوِيَ كَارْفَرُ لِيَنْضُمَ إِلَيْهَا ، وَلَكِنَّهُ أَبَى ذَلِكَ ، فَاضْطُرَّتِ الشَّرَكَةُ إِلَى تَقْلِ مَصْنَعِهَا إِلَى بَلَدَةِ تَسْكِجِي حَتَّى تَكُونَ بِقَرْبِهِ فَتَنْتَفِعَ مِنْ إِرْشَادِهِ .

هَذَا هُوَ الْعَبْقَرِيُّ الَّذِي ضَرَبَ الْمَثَلَ بِتَجَرُّدِهِ عَلَى حُبِّهِ لِأَوْلَادِهِ جِلْدَتِهِ بَلْ لِلْإِنْسَانِيَّةِ عَامَةً ، وَالَّذِي تَرَكَ مَعْظَمَ مَرَاتِبِهِ الْمَحْدُودِ يَتَكَدَّسُ فِي إِدَارَةِ

معهد إلّا القليل الذى احتاج إليه لمعاشه البسيط فضلاً عن معاونة الطلبة الفقراء . وهذا هو المواطن المخلص الذى ظَفِرَ بنوطِ روزفلت *The Roosevelt Medal* لتميَّز عمله العلمى والذى اختارته الجمعية الملكية فى لندن زميلاً بها ، والذى أصدرت طوابع وقوودَ أمريكية برسمه وباسمه ، والذى أُقيمت له التماثيل وأُلقت عنه الروايات والكتب والسينمايات ، والذى وهب جميع ما ادَّخره باسمه لخدمة العلم ووهب علمه وسيرته هُدى لأولى الألباب أينما كانوا فكرمته الإنسانية قاطبة .

## موسيقى الزنوج الشعبية

نَرْجِعُ صَلَةَ الْعُنْصَرِ الزَّنْجِيِّ بِالشَّعْبِ الْأَمْرِيكِيِّ إِلَى قُرُونٍ ، فَهُوَ شَطْرٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ دَرَاةٍ مُوسِيقِي الزَّنْجِ عِنْدَ دَرَاةٍ مَرَاكِزِ التَّطَوُّرِ لِلْمُوسِيقِي الْأَمْرِيكِيَّةِ ؛ وَلَيْسَ ثَمَّةَ أَدْنَى شَكٍّ فِي أَنَّ هَذِهِ الْمُوسِيقِي حَبِيبَةٌ لِي الشَّعْبِ الْأَمْرِيكِيِّ لِمَزَاجِهَا الْفَنِّيَّةِ الْخَاصَّةِ ، فَمَا هِيَ هَذِهِ الْمَزَايَا ؟

أُولَى هَذِهِ الْمَزَايَا الْعَاطِفَةُ الصَّادِقَةُ الْجَيَّاشَةُ الَّتِي نَبَعَتْ مِنْ قُلُوبٍ طَائِفَةٍ عَانَتْ فِي بَدَايَتِهَا الْإِغْتِرَابَ وَالرَّقَّ . وَشَتَّانَ بَيْنَ حَالِهَا حِينَئِذٍ وَبَيْنَ حَالِهَا الْآنَ فِي هَذَا الْجَوْ الدِّيمُقْرَاطِيِّ الشَّامِلِ مُسْتَكْمَلَةً حَقُوقَهَا ، مَقْدَرَةُ الْمَوَاهِبِ ، بِمِثْ نَبْغِ مِنْهَا أَعْلَامٌ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالْفَنِّ وَالسِّيَاسَةِ ، وَظَفَرُوا رِجَالًا وَنِسَاءً بِكُلِّ تَقْدِيرٍ وَمُحَبَّةٍ ، وَبَيْنَهُمْ نَجْمٌ فِي الْمُوسِيقِي وَالْفَنَاءِ . لِهَذَا تَغَلَّتْ هَذِهِ الْمُوسِيقِي فِي صَمِيمِ الْحَيَاةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ ، وَأَثَرَتْ بِطَلَبِهَا تَأْثِيرًا عَمِيقًا فِيهَا وَفِي مُوسِيقِي الْجُمَاهِيرِ .

وَإِذَا كَانَ التَّقْدِيرُ الْفَنِّيُّ لَهَا حَدِيثًا نَسْبِيًّا ، فَإِنَّهُ لَمْ يَفْتِ مِثْلَ طُومَاسِ جَفَرَسْنِ *Thomas Jefferson* أَنْ يَنْوِّهَ تَنْوِيهَاً خَاصًّا بِمَوَاهِبِ الزَّنْجِ الْمُوسِيقِيَّةِ الْفَطْرِيَّةِ فِي مَذَكَّرَاتِهِ عَنْ فَرِجِينِيَا «*Notes on Virginia*»

سنة ١٧٨٤ . وأخذ الاهتمام بموسيقام يزداد تدريجياً بعد الحرب الأهلية وكان (الجامعة فسك) *Fisk University* الفضل الأول في تنشئة المغنين الزوج تنشئة أصولية إلى جانب تعليمها العام لهؤلاء العبيد المحررين ، فطاف أولئك المغنون في البلاد وكانوا خير دعاية لفتحهم ، وما كاد القرن الماضي يؤذن بالانصراف حتى كان هناك ملحّنون بارعون يقتبسون من موسيقى الزوج ، وكان على رأسهم الفنان البوهيمي الأصل دفوراك *Dvorak* في سمفونيته « العالم الجديد — *New World* » .  
يمثل هذه الموسيقى التي أشرقت منها روح ذلك الفن استطاع دفوراك *Dvorak* أن يكسب لموسيقى الزوج الشعبية أصدقاء عديدين احتراموها ودعوا إلى الاهتمام بها ، فأخذت الحفلات الموسيقية الخاصة بها تنشأ ثم تتكاثر حتى غمت البلاد ، كما أخذت تلك الحفلات تتنوع والموسيقى ذاتها تتطور وتهذب جيلاً بعد جيل .

والمغنون أن هذه الموسيقى جاءت أول ما جاءت إلى أمريكا تحملها أغاني العبيد الزوج من إفريقيا . فكانوا يلجأون إليها لجوءهم إلى الذين عزاء لهم وتنفساً عن كثرهم . وتدل الأبحاث العلمية على أن هذه الموسيقى تمت بصلات في عناصرها إلى ضروب من الموسيقى السامية .

وعند ما تَعَلَّمُ الزُّنُوجُ اللُّغَةَ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ وَتَشَرَّبُوا الْمَسِيحِيَّةَ طَوَّعُوا  
أَغَانِيَهُمْ وَمُوسِيقَاهُمْ لَهَا .

وكانت مِنْ مَزَايَا هَذِهِ الْمُسِيقَى مَقْطُوعَاتُهَا الرُّوحَانِيَّةُ ، وَإِنْ كَانَتْ  
هَذِهِ « الرُّوحَانِيَّاتُ » *Spirituals* متأثرة فِي أَصْلِهَا بِأَنَاشِيدِ الْإِنْجِيلِ  
وَتَرَانِيمِهِ . وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ « الرُّوحَانِيَّاتِ » كَانَ يُرْتَجَلُ ارْتِجَالًا فِي  
الاجْتِمَاعَاتِ الدِّينِيَّةِ عَلَى مَا وُصِفَ فِي مَجَلَّةِ *Musical Quarterly* بَعْدَ  
يَنَايِرِ سَنَةِ ١٩١٩ . وَفِي هَذِهِ التَّرَانِيمِ الْكَثِيرِ مِنَ اللُّوْعَةِ وَاللَّهْفَةِ وَاللَّجْوَاءِ  
إِلَى غَوْتِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ، إِلَى جَانِبِ مَا فِيهَا مِنْ أَوْهَامٍ دِينِيَّةٍ . وَبَعْضُ  
هَذِهِ التَّرَانِيمِ حَزِينٌ وَغَيْرُهُ مِلْؤُهُ الْبَهْجَةُ . وَمِنْ ثَمَّةَ كَانَتْ هَذِهِ الْأَغَانِي  
الرُّوحَانِيَّةُ مَنْوَعَةً الضَّرُوبِ .

وَقَدْ ظَهَرَ بَيْنَ الزُّنُوجِ مُؤَلِّفُونَ مُوسِيقِيُونَ كَانُوا يَطُوفُونَ بِأَغَانِيهِمْ  
وَمُوسِيقَاهُمْ كَمَا كَانَ يَطُوفُ « الشُّعْرَاءُ التَّرَوَادُورِيُّونَ » فِي جَنُوبِىِ فَرَنْسَا  
وَشَمَالِىِ إِيطَالِيَا وَغَيْرَهُمَا فِي الْقُرُونِ الْوَسْطَى . وَبَيْنَ أَشْهُرِ مَغْنِّيهِمُ الْمُؤَلِّفِينَ  
الْقُدَامَى كَانَ *Singing Johnson* ، وَبَيْنَ أَشْهُرِ مَغْنِّيهِمُ الْجَوَالِينَ  
كَانَ « *Left Wing* » Gordon .

وَهَنَّاكَ طَرَا زُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَغَانِي الدِّينِيَّةِ الْوَجْدَانِيَّةِ يُسَمَّى « الْمُتَنَافِ —  
*Shout* » يَجْمَعُ بَيْنَ رَقْصِ الْجَمَاعَةِ وَالْإِيْقَاعِ . كَمَا أَنَّ هَنَّاكَ أَلْوَانًا مِنْ

الأغاني الوجدانية كان يتأثّر بها الزوج في المزارع وفي مختلف الأعمال .  
وهذه الأغاني تفيض بالإشفاق على أنفسهم والرتاء لها ، وقد تُبدى  
موسيقاها الفرحة التي تستر خلفها الوجد والمُ ، فلبّها الحزن الدفين  
ولذلك سُمّيت *The Blues* . ويرجعُ إلى *W. C. Handy* هاندى  
الفضل في شيوع هذا الطراز من الموسيقى المستمد من إشفاق الزوج على  
حظوظهم وراثتهم لأنفسهم ، ومجموعته *Memphis Blues* التي صدرت  
في سنة ١٩١٢ أشهر من أن تعرف . وقد أقبل الشعبُ جملةً على هذه  
الموسيقى فلم تقتصر على الزوج فحسب .

وصفوة القول إنَّ موسيقى الزوج بتطوُّرها أصبحت من صميم الفنِّ  
الأمريكي . وهي موسيقى جذابةٌ صادقةٌ التعبير عن آلامهم وآمالهم في  
مراحل تطوُّرهم ، وفيها ما فيها من الأنين والمويل والرتاء لأنفسهم  
والتضرُّع الدينيّ والبهجة المصطنعة التي تستر لهفتهم ، كما أنَّ فيها من  
محياتِ الاستسلام والرضى بالخط والتأمل في العدل الإلهي ما فيها .  
وهي بعد ذلك في مجموعها تاريخٌ وجدائيٌّ لِتطوُّر الزوج من عهد  
الرقّ إلى عهد الحرية ، ولذلك تأثر منها الشعبُ كما تأثر بها وأحبّها  
وتشرَّبها .



## المراجع REFERENCES

- Musical Querterly* في مجلة *Negro Music at Birth* (١)  
بأبر سنة ١٩١٩ .
- Alain Locke* تأليف *The Negro and His Music* (٢)  
سنة ١٩٣٦ .
- Harry T. Burleigh* تأليف *Negro Spirituals* (٣)  
سنة ١٩٢١ .
- William* تأليف *Slave Songs of the United States* (٤)  
*Allen Francis* الطبعة الأولى سنة ١٨٦٧ — الطبعة الثانية سنة ١٩٢٩ .
- Henry E.* تأليف *Afro — American Folk Songs* (٥)  
*Krehbicl* سنة ١٩١٤ .
- Gohn Wesley Work* تأليف *American Negro Songs* (٦)  
سنة ١٩٤٠ .
- Turme* نغمته شركة *The Negro Singers' Own Book* (٧)  
& *Fisher* في فيلادلفيا سنة ١٨٦٤ .
- The Negro in Literature and Art in the United States* (٨)  
تأليف *Benjamin Brawley* سنة ١٩٢٩ .

# مجموعه شومبرج

## THE SCHOMBURG COLLECTION

قال صاحبي : أَتُرِيدُ أَنْ تَرَى كِتَابًا مِنْ أُنْدَرُ كُتُبِ الْعَالَمِ ،  
بَلْ كُنَّا مِنْ أَعَزِّ الْكُنُوزِ الْأَدْبِيَةِ فِي صَمِيمِ نِيُورُوكَ وَهُوَ فِي الْوَقْتِ  
ذَاتِهِ رَمَزٌ لِلْوَنِّ مِنْ أُلُوَانِ الْحَضَارَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الَّتِي تُنْفِي بِالْإِذَاعَةِ عَنْهَا  
تَبْيَانًا لِلاتِّجَاهَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الْحُرَّةِ ؟ قُلْتُ : لَا أَحَبُّ لَدَيَّ  
مَنْ عَرَضَكَ هَذَا . فَاصْطَحَبَنِي بِقِطَارِ النَّفَقِ إِلَى حَيِّ هَارْلَم — الْحَيِّ  
الَّذِي تَقطنه كَثْرَةٌ مِنَ الزَّوْجِ — وَثَمَّةٌ عِنْدَ الشَّارِعِ الْمَائَةِ وَالْخَامِسِ  
وَالثَّلَاثِينَ اقْتَادَنِي إِلَى مَبْنَى جَمِيلٍ اِحْتَوَى الْمَكْتَبَةَ الْحَلِيَّةَ الْعَامَّةَ الَّتِي  
تَتَمَيَّزُ ( بِمَجْمُوعَةِ شُومْبُرْج ) الشَّهِيرَةِ الَّتِي سَمِعْتُ عَنْهَا كَثِيرًا وَلَمْ تُتَبَخَّرْ  
لِي الْفُرْصَةُ مِنْ قَبْلِ مُشَاهَدَتِهَا . وَلَنْ أَحْدِثَ عَنْ جَاذِبِيَّةِ هَذَا الْبِنَاءِ  
وَعَنْ حُسْنِ تَنْسِيقِ الْمَكْتَبَةِ الْعَامَّةِ ، فَإِنْ عَنَانِيَّةٌ أَمْرِيكَا بِمُؤَسَّسَاتِهَا الْعَامَّةِ  
مَشْهُورَةٌ ، كَمَا أَنَّ مَكْتَبَاتِهَا مَضْرَبُ الْمَثَلِ فِي الْعَالَمِ لِحُسْنِ تَنْظِيمِهَا وَطَابَعِهَا  
التَّقْدِيمِ . وَإِنَّمَا يَعْنِينِي التَّنْوِيهُ بِالزُّوْجِ الْأَمْرِيكِيِّ الْوَقِيَّةِ لِجَمِيعِ عُنَاصِرِ  
الشَّعْبِ ، فَإِنَّ مَجْمُوعَةَ شُومْبُرْجِ تُمَثِّلُ الْعَنَانِيَّةَ الصَّادِقَةَ بِثَقَافَةِ الزَّوْجِ ، وَهِيَ  
أَكْبَرُ مُؤَسَّسَةٍ مِنْ طَرَاظِهَا فِي الْعَالَمِ اِتَّظَمَتْ نَوَاحِيهَا لِلْمُؤَلَّفَاتِ النَّادِرَةِ

والتَّحَفَ الغالية التي جمعها آرثر ألفونسو شومبرج *Arthur Alfonso Schomburg* من آثار الزوج أو مما كتبه أو صَوَّرَهُ أو صَنَعَهُ الغيرُ عنهم ، وكانت أهدتها مؤسسة كارنيجي بنيويورك *The Carnegie Corporation of New York* في سنة ١٩٢٦ إلى مكتبة نيويورك العامة *The New York Public Library* ثم نُقِلَتْ هذه المجموعة إلى المكتبة الفرعية السَّالفة الذكر في حيِّ هارلم وهي التي يرجع تأسيسُها إلى سنة ١٩٠٥ .

واسترعى انتباهي وشغلَ بصرى ما رأيته أمامي من مؤلَّفاتٍ عديدةٍ ومَجَلَّاتٍ مُنَوَّعةٍ مُعاصرةٍ عن الزوج في إفريقيا وأوربا وأمريكا وجُزُر الهندِ الغربيَّةِ ، وتصانيف جمَّةٍ بين أدبيةٍ وتاريخيةٍ تتناول ثقافة الزوج ، ومن صُورٍ ولوحاتٍ فنيَّةٍ قيمةٍ ، وتماثيلٍ وآثارٍ فنيَّةٍ إفريقيةٍ بديعةٍ ، وأفلامٍ مصفَّرةٍ لصُحف الزوج الأمريكيين منذ سنة ١٨٢٧ . وهذه الأفلامُ المصفَّرةُ لِلصُّحفِ تُمكنُ قراءتها بواسطة آلةٍ خاصَّةٍ تما يجعلُ الاطلاع على الصحافة الزنجية في أكثر من قرنٍ أمراً ميسوراً للجمهور . وهكذا يرى الملاحظُ في (مجموعة شومبرج) مادةً غنيَّةً خصبةً للمحقِّقين الباحثين ، وللمؤلِّفين المؤرِّخين ، ولدارسي الآثار الفنِّيةِ النَّوَّعةِ ولكلِّ ما يَمْتُ بصلةٍ لأدبِ الزوج وتاريخهم وثقافتهم

وفي طليعتها رُوحهم الفنية في الموسيقى والرسم والتصوير والنحت .  
قلتُ لصاحبي : لأمرىكا أن تفتخرَ حقاً بهذا العملِ العظيمِ في  
رُوحه ، كما لها أن تَمْتَزَّ بهذا الكَنْزِ النفيسِ في قيمتهِ مادياً وعلماً وفنياً .  
كان شومبرج نفسه زنجياً الأرومة ، وقد نشأ في بورتوريكا حيث  
وُلِدَ سنة ١٨٧٤ ، وقد أدَّى به بَحْثُهُ الشخصى إلى ثلاثِ نتائج رئيسية :  
أولها : أن الزنجى كان خلال العصور وإبان المنازعات عاملاً  
نشطاً ، وكثيراً ما كان رائداً في الكفاح من أجل حريته وتقدمه .  
وثانيها : قيام نوابغ وعباقر بين الزنوج لم يُنصَفُوا ولم يُنصَفِ  
جنسهم بإهمالٍ نسبتهم إليه .

وثالثها : أن الأصول أو الأرومات الجنسية البعيدة للزنوج هي  
مفخرةٌ لجنسهم ، كما أنها ذات صلة وثيقة ببدء الثقافة الانسانية  
وتطورها . وما اكتُشِفَ خارج أمريكا من وثائق وآثار — أكثرُ  
مِمَّا اكتُشِفَ داخلها — لما يؤيد النتائج التي انتهى إليها شومبرج  
( الذى كان المدير الأول لهذا المتحف الذى الصبغة الأهمية ) ، وإن  
كان بين المتحف الأمريكى الطرائف الأدبية والتاريخية والفنية  
الكثيرة . وليست من أيسرها قدراً أشعارُ جوبيتر هأمون *Jupiter*  
*Hammon* شاعر الزنوج الأمريكى الأول ، ومذكرات إيرا ألدرج

*Ira Aldridge* الممثل الزنجي الذي اشتهر بأوروباً في القرن التاسع عشر بتمثيلاته لأدوار شيكسبير .

ووجدتُ الوقت يكاد يطيرُ مني بين إعجابي بآثار عديدة وقد شغلتنى من بينها اللوحاتُ الفنيةُ والمماثلُ والطرائفُ الإفريقيةُ زمنًا غير قصير ، قلتُ لصاحبي : لقد أنسنتُ هذه التفاسيرُ ذلك الكتابَ النادرَ أو الكنزَ العزيزَ الذي استهوئتنى من أجله لأزورَ هذه المؤسسةَ ، فضحك وقال : هذا ما كنتُ أنتظرُهُ ، فمالَ معي إلى مديرية المتحف ا وفى لطفٍ وإيناسٍ أطلعمتنا المديرُ النابهةُ على النسخةِ الأثريةِ من ديوان جُوان لاتينو *Juan Latino* الزنجيِّ الإفريقيِّ والشاعرِ النابهةِ الذي كان ينظم شعره باللاتينية (وقد ظهر ديوانه بمدينة غرناطة سنة ١٥٧٣) ولا يقلُّ عن ديوانه هذا قدراً كتابه عن الاسكوريال في سنة ١٥٧٦ . وكان جُوان لاتينو أستاذاً للشعر بجامعة غرناطة في عهد فيليب الخامس ، وكان يُعدُّ أعظمَ أديبٍ في اللاتينية بأسبانيا في عهده وظهرتْ آثاره قبل أعمال شيكسبير بعشرين عاماً .

وتَرَكتُ هذه المؤسسةَ الرائعةَ مسحوراً بما فيها ، ولكني كنتُ نِملاً بفرحةٍ تتجددُ لمشاهدتي هذا المظهرَ الحىَّ للحضارةِ الأمريكيةِ الإنسانيةِ الذي أمهمَّ في إقامتهِ ورعايتهِ البيضُ والسودُّ على السواء والذي يُحسِنُ به الشعبُ عامةً في غبطةٍ أكيدةٍ .



في الدين والاجتماع





## الدين في أمريكا

إن سياحاتنا الماضية في أقطار شتى واهتمامنا بِتَدَبُّعِ ضُرُوبِ الحياة فيها وألوان حضاراتها واختباراتنا الشخصية جعلتَنَا نؤمن بنفاسة المدنية الأمريكية وبأن الدين ليس عنصراً ثانوياً فيها . ولكن الدين في أمريكا ليس نظرياتٍ وشكلياتٍ بل هو حياةٌ عملية هي أظهر ما تكون في الإحسان المنظم وفي التعاطف الإنساني ، وها هي أمريكا تُنْجِبُ المؤتمر الدولي للديانات *World Congress of Religions* كهيئة عالمية مستقرة فيها . وإن من يزعم أن عظمة أمريكا تقوم على الماديات فحسب قد فاته الشيء الكثيرُ من محاسن حضارتها الباهرة التي هي حضارة علمية إنسانية في الصميم جديرة بأن تُحْتَدَى شرقاً وغرباً على السواء ، إذ أنها غاية ما بلغه العقل البشري من المعرفة ومن تطبيق المعرفة . وأية عيوب تعلق بهذه الحضارة في هذا الألوان أو في سواه لا تَمَسُّ جوهرها بأي حال .

يبلغ عدد الأعضاء في الكنائس بالولايات المتحدة الأمريكية اليوم أكثر من ستة وسبعين مليوناً تضاف إليهم ملايين عدة من الأطفال الذين يحضرون مدارس الأحد . ويقوم الجمهور الأمريكي طواعية

بالمساعدات المالية للكنائس ، إذ أن الحكومة الأمريكية لا تساندها بأى مالٍ مذكأن الدستور الأمريكى ينص على فصل الدين عن الدولة . وتوجد بالولايات المتحدة مائتا ألف وأربعة آلاف وخمسون ألف كنيسة كما توجد بها مائتان وستة وخمسون مذهباً أو جماعة دينية ، إذ أن ديانات ومذاهبَ عِدَّةَ لشعوب تكاد لا تحصر تسربت إلى هذه البلاد واندجبت فى مجتمعاتها . وإلى جانب العبادة تقوم الكنائسُ الأمريكية بوظائف عدة على غاية من الأهمية ، فهى مراكز ذات اعتبار كبير للنشاط الاجتماعى ، ولها برامج للرجال والنساء ، وللشباب والأطفال ، لأجل الدراسة والخدمة ، ولأجل بث روح الزمالة ولأجل الرياضة والتسلية .

وينص الدستور الأمريكى على احترام حرية العبادة ، بل ورد فى التعديل الأول لهذا الدستور أنه لا يحقّ للكونجرس إصدار قانون يخلق ديناً أو يمنع الممارسة الحرة لها . ومثل هذا التحديد قائم فى دساتير جميع الولايات الأمريكية علاوة على الآراء القانونية التى يعتمد عليها والمتوارثة جيلاً عن جيل .

وتُعلِّمُ العلومُ الدينيةُ فى عددٍ من كبريات الجامعات الأمريكية وفى كثير من المعاهد الدينية . ويبلغ عدد طلاب الدين المجدِّد سنوياً

زهاء خمسة عشر ألفاً بينهم ألف فتاة ، هذا علاوة على الدرايات العديدة في الكنائس المختلفة . وفي نحو أثنى مئتين أمريكي يُسَمَّحُ لطلبة المدارس بأجازه لساعات معينة كل أسبوع فيحضروا من تلقاء أنفسهم الدروس الدينية خارجها .

وما يزال ( الإنجيل ) المقدس أكثر الكتب رواجاً في أمريكا ، وقد دلَّ إحصاء حديث على أن ما بيع من نسخة في أمريكا يبلغ تسعة ملايين ومائتي ألف وثمانية آلاف وأربعين ألف نسخة في عام واحد .

ومن الروح الدينية التي احتضنت العلم والروح الانسانية نشأ وتأصل حبُّ الإحسان المنظم أو على الأصح العدالة الاجتماعية المنظمة في أمريكا إلى درجة جد باهرة ، فكانت الجواب الحاسم لكل من يزعم أن زعيمة العالم الجديد إن لم نقل العالم بأسره أمة انغمست في الماديات ونسيت الروحانيات أو أهملتها ، في حين أنها القدوة الحقة للتوارث الكامل الخليقي بالاعتبار وبالحاكة بين الأمم الناهضة .

وإن من تحدته نفسه بإصغار هذه العظمة بدل الاهتمام بدروسها والانتفاع من دروسها إما يخدع نفسه ويحاول أن يخادع غيره ، وهذا لا يضر أمريكا مثقال ذرة ، وإما يضر الشعوب التي لا تزال تعيش في القرون الوسطى ، وكلما واجهت نور الهداية أغمضت عيونها أو أرغما المترعمون

على صنع ذلك فيفوتون عليها فرص اليقظة والتقدم . وللشيوخ  
الحاكين بأمرهم نصيب كبير في هذا التّضليل الذي يثّونه في الشعوب  
التي تعاني مستوىً وضعياً في المعيشة والتي أنهلكها الاستعمار الطويل .  
ولكنها لم تعد تنظلي على الشعوب العربية وفي مقدمتها مصر التي  
استعادت ثقتها بأمريكا وإيمانها بحضارتها وبنيل غايتها وأخذت تُعقّي  
بدراسة المقومات الصحيحة لهذه الحضارة لتقتبس من لبابها النفيس .

## أسبوع الأخوة

في السابع عشر من فبراير في كل عام تدوى المبادئ الأمريكية بكلمات بولس الرسول أو بما يجمعها : « لقد خلق الله جميع الشعوب من ديم واحد . . . . لأننا جميعا أبناءه » .

يُشدُّ هذه الكلمات النورانية ملايين المسيحيين في كنائسهم ، ويرتل مثيلاتها غيرهم من جميع الأجناس والألوان والأديان التي تؤلف الشعب الأمريكي ، وتستمر مظاهر حضارتهم بهذه الروح الشريفة بصورة خاصة أسبوعاً كاملاً يُسمى « أسبوع الأخوة » برعاية رئيس الجمهورية الأمريكية ذاته . ويسبق هذا الموسم السنوي بأيام معدودة ميلاد الإنسان العظيم أبراهام لنكولن الذي جاهد ووفق لتحرير العبيد ، وأضاء الشعلة التي يستهدي بها في أمريكا وفي أقطار أخرى عديدة لتدعيم الحرية والأخوة والمساواة ، فيستلهمه أعلام الأمة في جميع مرافقها ومناحيها ، ويؤكدون مجددين عهدهم بمحاربة ألوان التعصب الجنسي والديني واللوني ، ويدعون أفراد الشعب إلى التعاون على استئصال أية جذور باقية تؤذي ذلك الميثاق الجرماني . إن روح أبراهام لنكولن هي روح الأمة الأمريكية التي بعثها

من جديد بشأ سويًا ، و « أسبوعُ الأخوة » هو ترجمانُ لتلك الروح ، وكلُّ ما نافاها غريبٌ عن هذه الأمة تُحاربه وتقوِّمه ولو كان من العادات للورثة . هكذا تصنعُ الحكومةُ الفدراليةُ وتأنمُ بها تبعاً لحكوماتُ الولاياتِ والمعاهدُ العلميَّةُ ونقاباتُ العمال ، ومن يتخلف مؤقتاً بتأثيرِ تقاليدٍ عتيقةٍ لا يفوته آجلاً أن يُلحقَ بقافلةِ التجانسِ والوئامِ والتقدُّمِ ؛ وبين الشرائعِ الهاديةِ إلى ذلك في ظلِّ الدستورِ « قوانينُ تعاملِ العملِ المُنصفِ — *Fair Employment Practice Laws* » .

هذا المظهرُ من الحضارةِ الأمريكية وليدُ تكوينِ الشعبِ الأمريكي من أجناسٍ وعقائدٍ شتى ، جميعها تدينُ بالولاءِ للولاياتِ المتحدةِ الأمريكية ، ومع ذلك جميعها تُشجِّعُ على البرِّ بأوطانها الأولى أو بمَنَابِتِ أرومتها ويُرتَقَبُ منها أن تُقَمِّلَ على توثيقِ وشائجِ الودِّ والتعاونِ بين تلك الأوطانِ وبين العمِّ سام . وليس هذا المظهرُ الأُمِّيُّ للحضارةِ الأمريكية بالجديدِ فهو أقدمُ من عُصبةِ الأممِ ومن الأممِ المتحدةِ .

وفي هذا العامِ ( ١٩٥٢ ) مرَّةً أخرى يُعنى « معهدُ الأممِ المتحدةِ *United Nations Institute* » التابعُ لجامعةِ نيويورك بسلسلةٍ من المباحثاتِ تقعُ في أسبوعِ الأخوةِ وتنسجمُ مع روحه وتتناولُ جميعَ العالمِ . ولما كنتُ قد دُهِيتُ للكلامِ عن مصرٍ خاصةً ، فيكفي للتدليلِ على

هذه العناية الطيبة أن نذكر طرفاً من الأسئلة المطروحة والمطلوب الإجابة عنها بصراحة جاً في توثيق حسن التناغم ما بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية .

السؤال الأول : إذا كان على المدارس الأمريكية أن تحاول إضمار الشباب أحوال الشرق الأدنى ، فما الذى يجب أن يعرفوه عن شعب مصر وعن ماضيه وديانته ومستواه الثقافى وموارده الاقتصادية ؟

وللجواب عن هذا السؤال الجامع نذكر أن ماضى مصر الذى تتلاق فيه جملة حضارات لا يبنى أن تكون المعرفة به محصورة في تواريخ وفتوحات وغارات قلما تفيد في تثقيف الأذهان وتوسيع الاطلاع ، وإنما يجب أن تُعفى أول ما تُعفى بتراث مصر القديمة في الفنون والآداب والطلب والعلوم والشرائع وبإسهامها في خدمة المسيحية والإسلام على غرار ما يتجلى في مثل كتابى *The Legacy of Egypt* «تراث مصر» تحرير جلا نغيل *Glanville* و *The Legacy of Islam* «تراث الإسلام» تحرير أر نولد *Arnold* وجويلوم *Gulllounge* فضلاً عن تاريخ الكنيسة القبطية *History of the Coptic Church* لبطلر *Butler* . ووزارة المعارف المصرية تُعفى بإصدار وثائق شتى ما بين قديمة وحديثة ، وكذلك تُعفى وزارة التجارة والصناعة المصرية ، ووزارة الصحة المصرية ،

وكُلِّها تشمل البيانات الوفيرة التي تدعّمها الأرقام عن تطوّر الشعب المصري من أقدم الأزمنة في مضمار المدنية ، وما أصابه من صعود وهبوط تبعاً لحريته واستقلاله وترعرعه في ظلّهما أو العكس .

أما السؤال الثاني : ما الذي يجب أن يُعرَفَ عن آلامهم

ومشا كلهم ومستقبلهم ؟

وللجواب عن هذا السؤال نذكر أن تلك الوثائق التي أشرنا إليها ، فضلاً عن مجلات مصر الثقافية والفنية والعلمية والأدبية لجدُّ مُعبّرة وُجّية عن هذا السؤال . إن مصر الحديثة بنتُ عوامل متعدّدة خاصة من تاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية ، والعقلية المصرية تبعاً لذلك تختلفُ عن عقليات شعوبٍ أخرى في الشرق الأدنى ، كما تختلف مشا كلهم إلى حدٍّ معيّن ، وإن اتّفقتْ آمالها في إحراز استقلالها الأتمّ حتى تعملَ في حِمَاهِ وفي جَوِّهِ الطُّلُقِ لبلوغ نهضةٍ أكملَ تنسجمُ وتاريخها الحِجيد .

وبديهي\* أنه لا يُنتظر أن تُشحنَ أذهانُ الطلبة بمعلومات وأرقام متعدّدة ، وإنما المهمُّ لحيرهم أن يُعطوا اللّبابَ بطريقةٍ فنيةٍ مشوّقةٍ كما تصنع « المجلة الجغرافية الوطنية » *The National Geographic Magazine* نحوَ شعوبِ الأرضِ جميعها ، وكما صنّعتْ مجلة « هوليدي » *Holiday*



في عرضها الشائق عن مصر بعدد ديسمبر سنة ألف وتسعمائة وإحدى وخسين ، وإنما يكون الاطلاع الأوفى للمؤلفين والمدرسين ، وعلى هؤلاء أن يزودوا الطلبة بالكتب الوفيرة الصورية الجامعة للحقائق الناصعة والمشبعة بروح العطف وبالرغبة في خلق حسن التفاهم بين الشعوب . ولا ريب أن مما يؤدي إلى ذلك ، بدل حفظ التواريخ الجافة عن حروب ومنازعات ، أن يعرف الطلبة مثلاً شيئاً عن سيرة أخاتون وتعاليمه العظيمة وخدماته للسلام . وما يُقال عن مصر يقال عن غيرها من الشعوب ، إذ اللهم أن تُدَاعِ الفضائل والحسنات والحقائق الملهمة .

وفي كل ما تقدّم ذكره ما يتمشى مع « أسبوع الأخوة » ومع روح الحضارة الأمريكية في كل وقت .

## الأساس الخلقى والدينى للمجتمع الأمريكى

تحتوى وثيقة إعلان الاستقلال الأمريكى على نص صريح بأن جميع الناس ولدوا متساوين ، وأن خالقهم وهبهم حقوقاً ثابتة . وهذا للبدأ بالاريب يدعّمه شعور دينى قوى قبل أن تدعّمه أية فكرة سياسية . كتلك التى أُنبتتها الثورة الفرنسىّة واتّمت فى تطرفها إلى الماركسية . إنّ الفكرة الأوروبية قوامها تعزيز المساواة قبل تعزيز الحرية ، وأما الفكرة الأمريكية فعلى النقيض تحفل بالحرية أولاً وأخيراً وتضعها فى مرتبة أعلى من المساواة . وبناء على المذهب الأمريكى تخضع الحكومة للقانون وتحاط حرية الفرد بضمانات متعدّدة مثل تلك المدوّنة فى لائحة الحقوق *Bill of Rights* وهى المواد العشر الأولى المعدّلة من الدستور الأمريكى . ويلوح أن هذه الفكرة الدينيّة نبعت من شعور المهاجرين الأولين المدعوين « الطهريّين الديمقراطيين *The Democratic Puritans* » فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، أولئك الذين آمنوا بأن الأفراد المواطنين مسئولون أمام الله عن طبيعة الدولة . وبناء على ذلك ليسوا أحراراً فى نقل المسئوليات إلى رؤسائهم الاجتماعيين ، ولا حتى إلى الدولة بحجة الحرص على مبدأ المساواة . إنّ المساواة المنصوص عليها

في وثيقة إعلان الاستقلال الأمريكي هي المساواة في الفرص والمسئوليات  
وما هبة الله التي يُطالب بحساب عنها ولا يقبل ثقلها إلى أى شخص  
آخر أو أية هيئة أخرى . وهذه الفكرة الدينية الإنسانية هي وليدة  
النزاع الديني بين رجال من أمثال اللورد بلطيمور، ورجل وليمز ، ووليم بن  
في إنجلترا . لقد كانت تعبيراً عن إيمانهم بأنه ما من مجتمع يمكن  
أن يستمرّ بغير التسامح الديني أى بدون أن يحمل كل شخص عبءاً  
الآخر على حدّ تعبير القديس بولس . وهذه الفكرة ذاتها عبّر عنها  
لتكن في خطابه التدشيني الثاني كما عبّر عنها إمرصن في خطابه  
« إلى الشاب الأمريكي » *Address to the Young American* ،  
والصّ على أن جميع الناس ولدوا متساوين هو تسوينج ويتافيزيقي —  
على حدّ تعبير المفكر الأمريكي جالانتيير *Galantiere* —<sup>(١)</sup> للعقيدة  
الأمريكية في القيمة الفريدة للفرد الإنساني ، وأنها ما لم نعتبر الإنسان  
من صنع الله وقد بثّ فيه الله ألفاً منهما أو شرارة خفية فليس ثمة  
سبب لاحترام أى إنسان إلا بمقدار احترامنا لعمله فقط .

لقد كانت أمريكا في سنة ١٧٧٦ حينما أعلنت استقلالها خليطاً من

---

*The Moral and Religious Basis of the American Society* وهي خلاصة مباحثات المؤتمر الأول للهيئة المستندرة الأمريكية  
رعاية . *The Advertising Council , Inc.*

أقلياتٍ منوّعة متباينة العقائد وإنما يجمعها حبُّ الحرية المقرونُ باحترام الشخصية الإنسانية احتراماً دينياً في روحه ، وهذا ما تجلّى في وثيقة إعلان الاستقلال الأمريكي ، وإنها لمراةٌ للحياة الأمريكية في ذلك الحين ( سنة ١٧٧٦ ) . لقد كانت حياة قوامها الإيمان بحرية الإنسان منذ ولادته ، وأنه من أصلٍ إلهيٍّ وليس مدركة . لذلك لم يعتبر الأمريكيون القانون الملأى أعلى قانونٍ لهم ، ولم يؤمنوا بوجود طبقة بينهم يصدر عنها الأحكام ، بل آمنوا فقط بأن المرء يبلغ من النفوذ ما تؤهله له جهوده ، وكان المجتمع الأمريكي متحرراً دائماً ليس فيه أي معنى من معاني الطبقات . إنه مجتمعٌ يؤمنُ بالمساواة التامة بين الأفراد في نظر الخالق ، وإذن فهم أهلٌ للمساواة في أشياء عدّة ، وهكذا تكون الديمقراطية الأمريكية ذات أساسٍ دينيٍّ عميقٍ ، لأنها وليدة الشعور بالسلوك الديني القويم . وبديهي أن الناس ليسوا متساوين في نشاطهم من النواحي البيولوجية والاجتماعية والذهنية والروحية ، وإنما الدين هو الذي يجعلهم متساوين إذا كان ديناً إنسانياً عاماً كما نرى في المسيحية والإسلام حيث يُعدُّ جميع الناس أبناء الله وصورته . وحتى جون ديوي John Dewey الذي تعدُّ فلسفته الخلقية علمانيةً بحضة كتب مامعناه :

« إن القيم التي أؤمنُ بها لا تكاد تُدرك خارج مجتمع أو ثقافة تُغذيها

العقيدة المسيحية منذ قرون . والحقيقة أن الفلاسفة الإنسانيين العلمانيين يعيشون على رأس المال الديني لأجدادهم الذين يستمرون في استغلاله دون أن يضيفوا إليه ، ويستنزفونه دون تعويض في كثير من الحالات على الأقل . ومع ذلك لا تنكر أنه يوجد في أمريكا كثيرون لا يزالون المسيحية عملياً ومع ذلك يؤمنون كل الإيمان بالمساواة ، وهناك عدد من المسيحيين الحريصين على دينهم لا يذهبون هذا المذهب كما صنع أجدادهم من قبل بدفاعهم عن الرق في سنة ١٨٦١ ، ولكن عدد هؤلاء أخذ حتماً في التناقص بتأثير الحضارة الإنسانية العلمية من ناحية وتأثير التطور الديني الحر من ناحية أخرى . وهذا التأثير المزدوج يغلب عليه الطابع الديني المتزن التسامح المستنير بالرق العلمي الذي حل المشاكل الاقتصادية كما حل نزوات التعصب القديم . وفتح الطريق مشرقاً أمام أمريكا الجديدة .

## الإيمان الإنساني

استرعى انتباهنا أخيراً حادثان هامّان على الرغم من التفاوت في ظاهريهما : أحدهما يخصّ دولة وجزيرة ، والثاني يخصّ قسماً كاثوليكياً وأشياء... ولكنّ الصلة بين الحادثين واحدة : وهي صلة الإيمان الإنساني ؛ والمرح الرئيسي واحد : وهو الولايات المتحدة الأمريكية .

في الحادث الأول : تتجلى جزيرة بورتوريكو التي ضُمت إلى الولايات المتحدة الأمريكية إثر هزيمة الأسبان في الحرب الأمريكية الأسبانية سنة ألفٍ وثمانمائةٍ وثمانٍ وتسعين ، قسّمت الولايات المتحدة من تلقاء نفسها على رُقيّ هذه الجزيرة وبلوغها منزلة الحكم الذاتي ، وكان آخرُ مظهرٍ لذلك دستورُها الذي وضعه أهل الجزيرة أنفسهم . وما تزال للشعب البورتوريكي حرّيته الكاملة في الاستقلال عن الولايات المتحدة إذا شاء أو في الانضمام إليها كولاية من ولاياتها ، وقد ساعدت الولايات المتحدة بالفعل استقلال الفيليبين منذ سنواتٍ وأيدت انضمامها إلى هيئة الأمم المتحدة ، بل أيدت انتخاب ممثل الفيليبين الجنرال رُمولو رئيساً للأمم المتحدة في إحدى الدُورات . وكلّ هذا بدافع الإيمان الإنساني ، وبدافع الاعتقاد في حقّ الشعوب المطلق في الحرية وفي منزلة الإخاء

والمساواة . وقد تُنتقد الولايات المتحدة — إن خطأ أو صواباً —  
لقوانين بعض ولاياتها الجنوبية الموروثة منذُ أجيال ، وقد تُنتقدُ  
على تسامحها في قبول المهاجرين خلافاً لكندا مثلاً ، كما انتقدت على  
سلكها السياسي في جُملة مواقف . أمّا الذي ينسأ منتقدوها فهو أنَّ  
للحكومة من المظاهر الدستورية ومن الخطط والأوضاع ما يُريده الشعب  
نفسه ، وما على الشعب إلا أن يريد فتتم إرادته ، وقد يكون الخطأ  
المنتقد غير متعدي بل نتيجة الجهل بالحقائق التي يهمل أصحابها في إطلاع  
الشعب الأمريكي عليها ثم يلومونه على تقصيرهم ! كذلك ينسئ هؤلاء  
المنتقدون أنَّ الإيمانَ الإنسانيَّ متغلغل في نفسية الشعب ، وأنَّ البوتقة  
التي تصهرُ جميع المهاجرين تكيفهم في النهاية بالطابع الإنسانيِّ الغالب  
على الشعب الأمريكي ، كما يفسون أنَّ الزمن يُذيبُ التقاليدَ الرثة  
تدريجياً ، وهكذا تسير الحضارة الأمريكية باستمرار إلى الأمام .

أما الحادثُ الفرديُّ الآخرُ الذي أشرنا إليه فقد أذاعه (صوتُ  
أمريكا) في العاشر من مارس سنة ألف وتسعمائة واثنين وخمسين —  
أذاعه ضمنَ نشرة الأخبارِ المربّية دون أن يعدّه أمراً شاذاً ، لأنَّ  
الإيمانَ الإنسانيَّ الذي ينطوى عليه ذلك الخبرُ غيرُ عجيب في أمريكا ،  
بل هو من صميم حضارتها . أذاع (صوتُ أمريكا) في ذلك اليوم أنَّ

أحد قادة الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا حثَّ المسيحيين في جميع أقطار العالم على أن يُحَيِّوا بعضهم البعض وأن يُصلُّوا من أجل إخوانهم المسلمين الذين يمكن أن يكون في يدهم مفتاحُ سلامِ العالمِ . وما ذلك الرجلُ الدينيُّ الجديرُ الذي قام بهذه الدعوة سوى سيادة المطران فُلْتُنْ شينْ *Fulton Sheen* مدير إحدى كبريات المؤسسات الكاثوليكية في الولايات المتحدة . وقد ذكر في دعوته التي نشرتها كبريات الصحف في ذلك اليوم « أن بعض الشعوب الآسيوية يمكن أن نجد الحل لمشكلة السلام العالمي عن طريق قُوَّةِ ثالثة هي الإسلام » .

هذا الإيمانُ الإنسانيُّ تتعدَّدُ صُوَرُهُ قَوْلًا وَعَمَلًا في ضروبِ التآزُرِ والمعاونةِ داخليًا وخارجيًا إلى درجة أصبحت فيها أمريكا « سانت كلوز العالم » . وصُوَرُهُ البيانيةُ آياتٌ من الإيمانِ الحكيمِ نَقَرُوها في الكتبِ والمجلاتِ من مدرسيَّةٍ وغيرِ مدرسيَّةٍ ( وكان أبراهام لنكولن الرائد الأول في التعبير عنها ) ، بل على المسرحِ والسينما التي لا يُقصدُ منها إلى مجردِ التسلية . وقد عُيِّنَ ( صوتُ أمريكا ) بتسجيلِ سلسلةٍ مديدةٍ من الآراء الإنسانية لمواطنين أعلام باسم « هذا ما أعتقد » *This I Believe* وهي آراء يؤمنون بها ويثبتونها بلا ريبٍ في حياتهم ومجتمعاتهم ، وتسهمُ في تكوينِ الرأْيِ الأمريكيِّ الإنسانيِّ الذي في وسعِ أيَّةِ أُمَّةٍ



أن تَظْفَرَ به عَوْنًا وصديقًا ، لو أنها تَبَدَّلُ جَهْدًا كافيًا صادقًا في التَّوَرُّعِ والإقْناع . وهذه تكاد تكون خاصية للرأى العام الأمريكى الذى يُسيطر سيطرة تامة على حكومته بكل معنى الكلمة وإلى درجة أكثر مما خبرناه فى إنجلترا ذاتها ،

قالت السيدة إينا كورن براون *Ina Corinne Brown* :  
« إن الواجب على المرء أن يَخْلُقَ نظامًا اجتماعيًا يكون فيه الأشخاصُ أهمَّ من الأشياء ، وأن يَخْلُقَ أفكارًا أئمن من المستنبطات ، بحيث يقدِّرُ الأفرادُ فيه على أساس قيمتهم الذاتية » . والدكتورة براون *Ina Corinne Brown* — من العالمات الممتازات ، وأستاذة الأثنوبولوجيا بكلية اسكارت *Scarritt* فى بلدة ناشفيل *Nashville* بولاية تينيسى .  
وتصريحها هذا هو جزء من فلسفتها الشخصية العملية . تقول :  
« إن اعتقادات الإنسان لا تُعلنها الأقوال والعقائد التقليدية مثلما تُعلنها الفروض التى يعمل الإنسان بموجبها والقيم الأساسية التى بموجبها تُفحصُ جميعُ المختاراتِ الأثيرة . إن الرُّكنَ لنظامى التقديرى قد وضعتُه والذى فى طفولتى ، إذ كانا يعتقدان بأن الاستقامة الشخصية هى أهمُّ الأمور . فما نساء لا مرَّة : ماذا سيظن الناس ؟ بل كان سؤالهما : ماذا سيكون حُكْمُكَ على نفسك إذا علمتِ هذا أو عجزتِ عن عمله ؟ وهكذا »

كانت حياة الإنسان وفقاً لتصوره هو لنفسه ذات اعتبار أساسي ،  
وصار السؤال : « ماذا سيظنُّ الناسُ إذا اعتبرنا نوثي » . وأضافت  
الدكتورة براون إلى ذلك قَوْلَها : « هناك قيمةٌ أساسيةٌ ثانيةٌ هي من  
بعض الوجوه امتدادٌ للقيمة الأولى السالفة الذكر ، وإني لمدينة بها إلى  
أستاذٍ قديمٍ في كليةٍ عانى أكثرَ مِن نصيبٍ من الحزن والاضطراب ،  
وكان تكراراً يقول لي : إن الشيء الوحيد الذي يهْمُ حقيقةً هو أن  
تكوني أكبرَ من الأشياء التي يمكن أن تقع لك . فلا شيء يمكن أن  
يقعَ لك يبلغُ في أهميته مبلغَ الطريقة التي ستُجابهِمَنَ بها . وقد أدركتُ  
تدريجياً أنَّ هنا أساسَ الضمان الحقيقي والسلام للفكر الذي يمكن أن  
يحمده الإنسان . فما من أحدٍ يمكن أن يَحْزِمَ متى يُمكن أن تحلَّ به  
مُصيبةٌ أو خيبةٌ أملٍ أو عَصفٌ أو إهانةٌ دون أن يكون مسئولاً عن  
ذلك . وما من أحدٍ يمكن أن يُضْمَنَ ضدَّ أخطائه وخيالاتٍ مَساعيه .  
ولسكن طريقة لقاء الحياة هي اختيارُنا نحن ، وحينما يقع اختيارُنا على  
الاستقامة والجَلَدِ والكرامةِ والرحمةِ ، فإن الأشياء التي تُصيبنا تفقد  
سلطوتها علينا . وقد أدَّى قبولُ هاتين القيمتين الأساسيتين إلى ثالثَةٍ :  
وهي أنه إذا كان الأممُ ما يصنعه الإنسانُ نفسه في مجابهة الحياة  
وتكوينه الشخصي ، فلن يؤثر في الإنسان ما لآخرٍ مِن مالٍ أو منزلٍ

أو قوة ، كما لن يحكم الإنسان على الآخرين لاعتبارات الجنس أو اللون أو المركز الاجتماعى .

وهذا يفتح عالمًا غنيًا بالعلاقات ، لأنه متى كانت الصداقات مبنية على صفات العقل والخلق أصبح في وسع المرء أن يجد له أصدقاء بين المستنيرين والشباب ، وبين الأغنياء والفقراء ، وبين المشهورين والمغمورين ، وبين المتعلمين والأمينين ، وبين الناس من جميع الأجناس والأمم . وبعد التسليم بهذه القيم الثلاث الأساسية تجلت قيمة رابعة لا مقرر منها : ألا وهى واجب المرء الإلزامى فى المساعدة على خلق نظام اجتماعى يكون فيه آدميون أمم من الأشياء ، والأفكار آمن من الآلات ، ويُقدَّر فى الناس حسب قيمتهم الذاتية . وعلاوة على ذلك لكى يكون هذا التقدير عادلاً يجب أن يُعطى الناس فرصة لإنماء مواهبهم إلى أقصى غاية مستطاعة . وهكذا يُساق الإنسان إلى العمل لِدُنْيَا قَوَامُهَا الحرية والعدل عن طريق الوسائل والمؤسسات الاجتماعية التى تجعل الناس فى كل مكان يُدركون إمكانياتهم العليا . ولعل كل هذا مما يكتمل الإيمان بما سُمي الانتفاع الإنسانى بالآدميين . على الناس أن يُعتَمِدُوا بغذائهم وبحاجاتهم البدئية الأخرى ، وعليهم أن يَحْمُوا أنفسهم وذويهم من الضرر الجسائى ، وليسكن هذه الوجوه من النشاط

غير مقصورة على آدميين ، فثأرها يشغل كثيراً من الحيوانات : إننا حينما نصلي أو نبتهل أو نشعر بالتطف ، وحينما نستمتع بلوحة تصويرية أو بمشهد غروب الشمس أو بسوناتا ، وحينما نفكر ونعقل ونلاحق الأفكار ونبحث عن الحقيقة أو نقرأ كتاباً ، وحينما نبجل الشيء النبيل ونعزّ الشيء الطيب ، وحينما نتعاون مع زملائنا لبناء عالم أفضل ، فإنّ سلوكنا حينئذ يكون جديراً بمنزلتنا كآدميين .

وهذه المعاني التي عبّرت عنها بهذه الصورة الدكتور براون هي المعاني ذاتها التي يُعبّر عنها الأمريكيون كافة في صور مختلفة حسب درجات تعليمهم وثقافتهم ، وهي في صميمها تمايز عن الإيمان الإنساني وما يتطوّل عليه من التعلق بالحرية والإنصاف والكرامة البشرية . ولولا صدق هذا قولاً وعملاً إلى درجة التغلغل العميق في نفوس الشعب ، لمّا وافق هذا الشعب على رصّد بلايين الدولارات لإسعاد الأمم العبيدة على ضيافة حُرّيّاتها من العدوان وحريّته كذلك ، ولخمة الأقطار التي لم تستكمل نموّها الثقافي ، ولا تقاوم شقّ من الخراب الأكيد ، وهي تفعل كلّ هذا لا بروح الإحسان بل بروح الشعور بالواجب نحو زملاء في الأسرة الإنسانية الواحدة ، و بروح الاعتقاد بأنّ سلامة هذه الأسرة ورخاء الجميع يرتبّ على رخاء كل فرد منها ، وهذا قيعن الروح الاستعمارية .

هذا هو أسمى لونٍ من ألوان الحضارة الإنسانية يعرفه ويُقدّره كلُّ مَنْ خبيرٍ أمريكا عن كَثْبٍ وكان رفيعَ الخلقِ نزيهاً في أحكامه ، ولم ينكره إلا المتطرفون من خصومها السياسيين ، والمرضى الجحودون الذي نَعِمُوا وَيَنْعَمُونَ بنجراتها ، والجاهلون لحقائق الأمور من المقيمين عَبْرَ البحار الذين لم تَسْمَعْ لَهُمْ ظر وفهم بالتخلص من تأثير الدعايات المُفْرِضَةِ — شيوعية كانت أم غير شيوعية — وبالتحقيق الدقيق فيما يَسْمَعُونَ وَيَقْرَأُونَ ، وبين الأخير ما كتبته بَعْضُ السيکوباتيين والشيزوفرينيين الذين أقاموا فِتْرَةً في الولايات المتحدة للدراسة أولسواها ثم خابوا في غاياتهم الشخصية ، وهؤلاء يتميزون بالتعلم وبالتهجم وبالداوى التي تنسج بالمنهاج العلى وماهى منه فى شىء ، كما يتميزون بالثرثرة الجوفاء ، ويَرْضَى ساديتهم العملُ على خَلْقِ الحزراتِ — بدلَ الجوّ الودى الصالح — بين أمريكا ومواطنيهم الأصلية .



في الصناعة





# الجدید فی الصّناعة الأمريكيّة

## THE NEW IN AMERICAN INDUSTRY

الجدید فی الصّناعة الأمريكيّة لانهاية له ، كما يشمل أبواباً لاحصر لها . ولكننا سنقتصر في هذه السلسلة على الأمم التي له تطبيق مباشر في حياة الناس وفي تقدّمهم على نطاق واسع .

ومن آخر المستحدثات في المصنوعات الأمريكيّة الصوف الصناعي الذي انتفعت به الحكومة الأمريكيّة انتفاعاً كبيراً للملابس الجنود الحاربين في كوريا ، فقد ثبتت صلاحيته التامة وأمكن إنتاجه بسعر أقل من سعر الصوف الطبيعي .

وبين ثمار التكنولوجيا الأمريكيّة الحديثة نسيج الزجاج الواق من النار فتصنع منه ملابس المتقذين من الحرائق ، وبفضلها يستطيعون احتمال درجة ألفين من الحرارة بمقياس فهرنهايت .

وهذه الملابس تتألف من عدة طبقات من نسيج الزجاج وصوف الزجاج . وبفضلها لم ترتفع درجة الحرارة داخل بذلة القائم بالإقذاع عن ١٣٠ . بمقياس فهرنهايت ، كما أثبتت التجارب التي أجريت حديثاً في المطارات الأمريكيّة .

وكان لمؤسسة Owens - Corning Fiberglass Corporation

العالمية الشهيرة جهدُها الرائد في هذا المجال . وفي مقدمة منتجاتها المواد العازلة الشائعة الاستعمال في التلّاجات الكهر بائية . ومن المتاجر الكبرى

بجميع أنحاء الولايات المتحدة يمكن شراء ستائر للنوافذ مصنوعة من نسيج الزجاج ، وميزتها الكبرى أنها لا تعلقُ بها النارُ ، وأنها غير قابلةٍ للانكماش أو للتمدد أو للتفتت أو للارتخاء ، كما لا تؤثرُ فيها الشمسُ ولا المطر ولا ينالها التآكلُ ، ولا تحتاج أبداً إلى التنشئة . وأحدُها فيه ليونةٌ ومثانةٌ فوق المجهود سابقاً في مثل هذا النسيج الذي كان يتكسر أحياناً . أما الستائرُ المصنوعة من هذا النسيج الجديد فطاقةُ احتمالها كبيرةٌ ومديدة . وحاجتها إلى الغسل لا تتجاوزُ ثلثَ حاجةِ الستائر القطنية مثلاً ، وفي هذا توفيرٌ لوقتِ ربةِ المنزل ولجهدِها ، وعلى الأخص حينما نذكرُ أنَّ نزعَ هذه الستائر من أماكنها وغسلها وتخفيفها ثم إعادةَها إلى أماكنها لا يستغرقُ إلاَّ دقائقَ معدودة . وعلى الرغم من هذه المزايا فمنها لا يتجاوزُ ثمنَ الستائرِ القطنيةِ الجيدة .

وقد أجرى مركزُ كولومبيا البرسيبتاري الطبيّ Columbia Pres-

byterian Medical Center تقديراً للوقت الذي وفّرهُ فعلاً في الخدمة بِفِرْفَرِ المستشفى فاتّضحَ أنه بلغَ ٥٦ بالمائة ، لأنَّ عُرفَ المستشفى

أُعِدَّتْ لِلرَّضَى الْجَدِّ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ ، فَقَدْ كَانَتْ السَّائِرُ تُغْمَسُ  
فِي الْمَاءِ بِمَحْوِ غَسَلِ الْأَيْدِي ثُمَّ تُجَفَّفُ مَا بَيْنَ الْقَوَاطِ وَيُعَادُ  
تَعْلِيقُهَا فَوْراً !

وَيُصْنَعُ مِنَ النَّسِيجِ الزَّجَاجِيِّ مَا يَصْحُحُ أَنْ نَدْعُوهُ بِالصُّوفِ  
الزَّجَاجِيِّ الرَّقِيقِ الَّذِي تُوثَقُ خُيُوطُهُ بِبَعْضِهَا بِبَعْضِ مَادَّةٍ بِلَاسْتِيكِيَّةٍ  
(أَيَّ عَجِينَةٍ) فَتَتَأَلَّفُ مِنْهَا مَادَّةٌ مَبْطُنَةٌ عَازِلَةٌ صَالِحَةٌ لِلدَّخْلِ الْمَعَاطِفِ  
الَّتِي تُلَبَّسُ فِي الْجَوِّ الْعَاصِفِ ، كَمَا أَنَّهَا صَالِحَةٌ لِلْمَعَاطِفِ الْأَطْفَالِ فِي الْبِلَادِ  
الْبَارِدَةِ الْجَوِّ وَفِي الْأَجْوَاءِ التَّلْجِيَّةِ .

وَلَمَّا كَانَ النَّسِيجُ التَّلْجِيُّ لَا يَمْتَصُّ الْمَاءَ فَقَدْ صَارَ يَسْتَعْمَلُهُ كَثِيرُونَ  
لِلتَّغْطِيَةِ الْخَارِجِيَّةِ بِدَلِّ قَاشِ الْقَلْعِ ، وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِعْمَالُهُ لِتَغْطِيَةِ مِيَادِينِ  
الْأَلْعَابِ الرِّيَاضِيَّةِ وَقَايَةً لَهَا مِنَ الْمَطَرِ أَوِ الرِّذَاذِ ، حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَى  
سُقُوطُهُ رُفِقَتْ الْأَغْطِيَةُ بِسُهُولَةٍ دُونَ أَنْ تَصَابَ مِيَادِينُ الْأَلْعَابِ  
بَأَيِّ ضَرَرٍ !

وَمِنْ أَكْبَرِ مَصَانِعِ الزَّجَاجِ فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ مَصْنَعُ  
*Corning Glass Works* حَيْثُ ابْتَدَعَ نَوْعٌ مِنَ الزَّجَاجِ نَاقِلٌ  
لِلْكَهْرَبَاءِ ، وَإِلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَفَّقَتْ مَصَانِعُ *Libbey - Owens - Ford*  
الْأَمْرِيكِيَّةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي ابْتَكُرَتْ أَيْضاً زَجَاجاً قَابِلاً لِلصُّوْنِ عَلَى دَرَجَةٍ

حرارة معينة كأن يكون مقاوماً للجليد . ومثلُ هذا الزجاج صالحٌ جداً لنوافذ الطائرات والقاطرات الحديدية والسفن والأوتوبيسات ونحوها .

وكثيراً ما اجتذبَ اللونُ الأزرقُ الأخضرُ لزجاجِ النوافذِ بالمركزِ الرئيسى للأمم المتحدةِ في نيويورك أنظارَ المارة والزائرين . وهذا الزجاجُ أحدثُ ما أنتجته مصانع *Libbey - Owens Ford* للوقاية من بهرِ النظر ، ولامتصاص الحرارة ، مانعاً تسربها إلى الداخل . ويدخل الحديدُ في صناعة هذا الزجاج . وما احتوى منه كمية كبيرة من أكسيد الحديدِك يمنعُ تسربَ الأشعةِ التي في منطقة ما وراء البنفسجية مثلاً ، وهى الأشعةُ التى تسببُ البهرَ . ويُستعملُ هذا الزجاجُ فى الألواح الواقية أمام سائقي السيارات ، فيخفضُ الأشعةُ بنسبة ٣٣ ٪ ويخفضُ الحرارة بنسبة النصف تقريباً .

وقد حدث تقدمٌ كبيرٌ فى صناعة الزجاجِ المتين الصلب الذى يصدُّ الرصاصَ ، ومنه ما يُستعملُ فى صناعةِ الحمايقِ وفى صناعةِ القبعاتِ الحربيةِ وفى صناعةِ القواربِ ، فهو على خِفَتِهِ جِدُّ متينٍ بارزاً متانةً للمعادنِ .

ومن أهمّ المبتكرات الزجاجية النسيجُ الزجاجيُّ الرصاصيُّ الذي  
استعمله الأطباء في جامعة فرجينيا في أرديتهم الواقية من تأثير أشعة  
إكس . وقد وُجِدَ هذا النسيجُ واقياً أيضاً من الأشعة الناجمة عن  
حاصلات انقسام النّرة ، وعلى ذلك سيكون له شأنٌ أيُّ شأنٍ في صيانة  
أرواح عديدةٍ في هذا العصرِ الذَّرِّيِّ .

# فهرس

## تقديم

## في التاريخ

- ١٣ عيد الاستقلال الأمريكي  
١٦ ميلاد الحرية  
٢٢ خطاب جنسبرج  
٢٢ لتكولن الانسان والفن

## في الادب والفن والموسيقى

- ٤١ في حديقة البلور ( قصيدة )  
٤٢ منظر شامل للادب الأمريكي  
٥٠ الادب المهجري في أمريكا الشمالية  
٦١ شعر الذكاء والفكاهة في المهجر الأمريكي  
٧٣ لويس هاريس  
٧٨ الموسيقى الأمريكية  
٨١ الشاعرة ماري بكستن  
٨٨ من الفن الأمريكي  
٩٥ آن سابوريتي والسرالية في الفن

## في ادب الملونين

- ١٠٧ بوكر وشنطن  
١١٣ جورج وشنطن كارفر  
١٢١ موسيقى الزنوج الشعبية  
١٢٨ مجموعة شومبرج

## في الدين والاجتماع

- ١٣٥ الدين في أمريكا  
١٣٩ اسبوع الاخوة  
١٤٤ الاساس الخلقى والدينى للمجتمع الأمريكى  
١٤٨ الايمان الانسانى

## في الصناعة

- ١٥٩ الجديد في الصناعة الأمريكية



يطلب من :

مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي - النجالة

دار مصر للطباعة  
٣٧ (٦) شارع كامل صدقي - النجالة